الحج – أحكام الاحرام به [١] – الخمس

فرض حج البيت فى دين ابراهيم وأمر بتبليغه فنادى أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ومعه اسماعيل حجة كحجة الاسلام وقد ذكر ابن الأثير فى الكامل كيفية حجه فقال . ثم خرج ابراهيم باسماعيل معه الى التروية فنزل به منى . ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة . ثم بات حتى أصبح فصلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر . ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذى يقف عليه الامام فوقف به على الأراك (٢) فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الاخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا أسفر دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ليريه كيف يرمى الجمار حتى فرغ من الحج . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل هو الذى أرى ابراهيم كيف يحج

تلك عبارة ابن الأثير ومقتضاها أن الصلوات الخمس شرعت فى دين ابراهيم ولم أر غيره نقل ذلك الا أن النووى ذكر فى شرح مسلم أن المزدلفة سميت بجمع لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء ومقتضاه أنهم كانوا يصلونهما لأن علة التسمية تسبقها وقد سميت بذلك فى الجاهلية . وقد كانت العرب تحج بيت الله الحرام مشاة أو ركبانا ومنهم من كان ينذر حجه لقول أبو طالب

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذى نذر ومن كل راجل (٣)

---

(١) الاحرام بالحج الدخول فى اعماله لان الحاج يحرم على نفسه أشياء من الحلق وتقليم الاظفار ومباشرة النساء وقتل الصيد وغير ذلك ويقابله الاحلال (٢) الأراك كسحاب موضع بعرفة قرب نمرة (٣) روى السيوطى فى اسباب النزول عن مجاهد قال . كانوا لا يركبون ورخص لهم فيه بقوله تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومنهم من كان لا يتكلم فى الحج تقربا لله تعالى روى البخارى فى صحيحه بسنده عن قيس بن أبى حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تكلم فقال مالها لا تكلم قالوا حجت مصمتة . قال لها تكلمي فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت

وهم ينقسمون بالنسبة لاعمال الحج ثلاثة أقسام .

القسم الاول : من كانوا على دين ابراهيم لم يبدلوا فيه وحج هؤلاء موافق لما كان عليه أسلافهم الى زمن ابراهيم

القسم الثانى من بدلوا دين ابراهيم فأدخلوا عليه تعظيم الاصنام وهؤلاء خلطوا أعمال الحج المشروعة فى دين ابراهيم بالتقرب للاوثان من الاهلال بالحج عندها أو التحليل لديها أو غير ذلك

القسم الثالث : من ميزوا أنفسهم عن سواهم فلم يشتركوا مع غيرهم فى كل اعمال الحج كما فعلت قريش ومن تبعهم فى رأيهم وامتازوا بأمور ابتدعوها فسموا حمسا (١) وغيرهم الحلة فقسموا العرب بفعلهم الى حلة وحمس . وبين ابن اسحاق مادعا قريشا لابتداع التحمس فقال

وقد كانت قريش لا أدرى قبل الفيل أو بعده (٢) ابتدعت رأى الحمس رأياً رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنوها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا . ولا تعرف له العرب مثل ماتعرف لنا . فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم . وقالوا قد عظموا من الحل مثل ماعظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب

---

(١) فى القاموس الحمس لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم فى دينهم أى تشددهم أو لالتجائهم بالحمساء وهى الكعبة لان حجرها ابيض الى السواد (٢) ذهب ابن الاثير الى ان قريشا ابتدعوا رأى الحمس بعد الفيل

أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها . الا انهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس ـ والحمس أهل الحرم ـ ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم اياهم يحل لهم مايحل لهم ويحرم عليهم مايحرم عليهم . وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك »

ومن الحمس أيضا جديلة قيس كما حكاه النووى . وقال أبو عبيدة النحوى أن بنى عامر بن صعصعة تبعوا قريشاً فى رأى الحمس . وذكر ابن العربى أن منصور بن عكرمة تزوج حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن على بن يعصر بن قيس بن عيلان فولدت له هوازن فمرض مرضا شديدا فنذرت سلمى لئن برئ لتحمسنه فلما برئ حمسته وعليه فهوازن من الحمس أيضا

ورووا أن الرجل من أهل الجاهلية اذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد . فاذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر . وقيل كان الرجل يقلد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء

وعن قتادة فى قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال جعلها حواجز وأبقاها الله بين الناس فى الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقى قاتل أبيه فى الشهر الحرام لم يتعرض له ولم يقربه وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحمته(١) ومنعته من الناس وكان اذا نفر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء الشجر فمنعته من الناس حتى يأتى أهله حواجز أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية

قال ابن عباس رضى الله عنه وكان ذو المجاز وعكاظ متجراً للناس فى الجاهلية فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك ظناً منهم انها تخل باخلاص العمل حتى نزل قوله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »

(١) أحمته جعلته حمى لا يقرب

ومنهم قوم استحبوا الحج بلا زاد وقالوا نحن المتوكلون وكانوا يضيفون على الناس (١) حتى نزل قوله تعالى « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »

وابتدعت الحمس فى الحج من باب التزهد والتأله أشياء حكاها ابن العربى من حديث ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال فلم تكن نساء الحمس ينسجن ولا يغزلن الشعر ولا يسلأن السمن (٢) اذا أحرمن . وكان الحمس اذا أحرموا لا يأقطون الاقط ولا يأكلون السمن ولا يسلئونه ولا يمخضون اللبن ولا يأكلون الزبد ولا يلبسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به مادامو محرمين ولا يغزلون الشعر ولا الوبر ولا ينسجونه وانما يستظلون بالأدم . ولا يأكلون شيئا من نبات الحرم وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ولا يخفرون فيها بذمة ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرم الرجل منهم فى الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل المدر يعنى من أهل البيوت والقرى نقب نقباً فى ظهر بيته فمنه يخرج ولا يدخل من بابه وكانت الحمس اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسورت من ظهور البيوت وأدبارها ويحرمون الدخول من أبوابها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فاحرم عام الحديبية ودخل بيته من بابه . وكان معه رجل من الانصار فوقف بالباب فقال له ألا تدخل فقال الانصارى أنا أحمس يارسول الله فقال رسول الله وأنا أحمس دينى ودينك سواء فدخل الانصارى مع رسول الله لما رآه دخل بابه . فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) . وخالف التبريزى فى شرح حماسة أبى تمام فقال (وكان الرجل اذا أحرم قبل الحج فان كان من اهل المدر اتخذ نقبا فى ظهر بيته فمنه يدخل ويخرج ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ويتخذ سلما يصعد فيه وينحدر ـ وان كان من أهل الوبر دخل من خلف البيت الا أن يكون من الحمس فدخل رسول الله وهو محرم من باب بنى بنيانا واتبعه رجل من أهل الاسلام يقال له قطبة بن عامر أحد بنى سلمة ولم يكن من الحمس فدخل

(١) ضفته أضيفه نزلت عليه ضيفاً (٢) سلاء السمن طبخه وعلاجه

معه فأنكر ذلك عليه وقال اجتنبني فانك محرم وقد دخلت من الباب فقال يارسول الله وأنت محرم فقال له انى أحمس فقال الرجل ان كنت أحميا فانى أحمسى رضيت بهديك وسنتك ودينك فنزل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها الآية)

فأنت ترى ان بين عبارتهما اختلافا ظاهرا فقد ذهب ابن العربي الى ان الحمس لايدخلون البيوت ولايخرجون منها من أبوابها و ناقضه التبريزى فأجازه للحمس كما اختلفا فى سبب نزول الآية فجعل التبريزى النبى منكرا على الرجل متابعته فى دخول البيت من بابه لانه أحمس والرجل ليس بأحمس وجعله ابن العربي آمرا له بأن يتابعه فى الدخول . وبالرجوع لتفسير ابن جرير الطبرى ترى الروايات مختلفة هذا الخلاف أيضا . ونحن اذا رجحنا رواية ابن العربي بأن قريشا أولى بتحريم دخول البيوت من أبوابها لانهم اخترعوا التحمس فى الدين وهو التشدد وفى هذا من التشدد مافيه وجدنا رواية التبريزى يرجحها أن قريشا كانت ترى نفسها معزوزة الجانب عند الله لايحول بينها وبين الرحمات التى تنزل من السماء سقف ولاغيره حتى سموا أنفسهم آل الله ولا كذلك غيرهم ويناسب هذا انها لاتحرم كغيرها دخول البيوت من أبوابها فى حج ولاعمرة لمكانها من الله ويعززه رواية الزهرى ان ناسا من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء يتحرجون من ذلك فلا يدخل أحدهم من باب الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء وكانت الحمس لايبالون ذلك . وحسبنا فى الكلام على أديان العرب ونحلهم ان هذا مذهب قوم من العرب فى حجهم وعمرتهم . وللكلام على الحمس بقية تذكر عند الكلام على الطواف بالبيت والوقوف بعرفة

قال الجاحظ فى الحيوان : وكانوا فى الاحرام يلبدون شعورهم ـ والتلبيد أن يأخذ شيئاً من خطمى وآس وسرو وشيئاً من صمغ فيجعله فى أصول شعره وعلى رأسه كي يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويخم فيقمل قال شاعرهم

يارب رب الراقصات عشية بالقوم بين منى وبين ثبير (١)
وحف الرواح تراقصت تمشى بهم يحملن كل ملبد مأجور (٢)

وكانوا فى الاحرام يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل . قال عبد الله بن العجلان النهدى

انى وما مار بالفريق وما قرقر بالجلهتين من شرب (٣)
من شعر كالليل ينبذ بالقمـ ـل وما مار من دم سرب (٤)

وقال أمية بن أبى الصلت

ساجى أياطلهم لم ينزعوا تفثا ولم يسلوا لهم قملا وصئبانا (٥)

التلبية ـ الطواف بالبيت ـ السعى ـ الوقوف بعرفة

كانوا يهللون ويلبون فى الحج وشاهد التهليل قول نُبَيْه بن الحجاج

اننى والذى يحج له شمـ ـط اياد وهللوا تهليلا (٦)
ومبيتا بذى المجاز ثلاثا ومتى كان حجنا تحليلا (٧)

وشاهد التلبية قول ابى المنذر « وكانت نزار تقول اذاما أهلت لبيك اللهم لبيك . لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فيوحدونه بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده . قال تعالى (وما يؤمن

---

(١) الراقصات الابل تسير الخبب و(ثبير) جبل بجوار مكة (٢) وحف الرواح الوحف الاسراع و(الرواح) العشى أومن الزوال الى الليل اى مسرعة ذلك الوقت (٣) مار الشعر تحرك و(الفريق) الطائفة من الناس أكثر من الفرقة ويريد جماعة الحاج و(ماقرقر) أى و بعير هدر و(جلهتا الوادى) جانباه و(من شرب) أى من عطش وفعله شرب كفرح (٤) مار الدم جرى و (سرب) جار (٥) ساجى فعله سجاسجوا سكن ودام و (أياطل) جمع أيطل والايطل الخاصرة و(التفث) فى المناسك الشعث وما كان من نحو قص الاظفار والشارب ونتف الابط وغير ذلك و (الصئبان) بيض القمل مفرده الصؤابة كغرابة (٦) هلل قال لا اله الا الله (٧) التحليل يستعمل فى كل

أكثرهم بالله الاوهم مشركون) اى ما يوحدونى بمعرفة حتى الا جعلوا معى شريكا من خلقى . وكانت تلبية عك اذا خرجوا حجاجا قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم فكانا امام ركبهم . فيقولان — نحن غرابا عك (١) — فتقول عك من بعدهما

عك اليك عانيه عبادك اليمانيه

كيما نحج الثانيه

وكانت ربيعة اذا حجت فقضت المناسك ووقفت فى المواقف نفرت فى النفر الأول ولم تقم الى آخر التشريق ». وروى مسلم ان ابن عباس قال (كان المشركون يقولون لبيك لاشريك لك قال فيقول رسول الله . ويلكم قد قد(٢) فيقولون الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت) ولما جاء الاسلام عدل المسلمون عما يدل على الشرك الى غيره حتى هداهم الدين لما يقولون قال عمرو بن معديكرب : الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن اذا حججنا نقول :

لبيك تعظيما اليك عمرا نغدوا بها مضمرات شُزرا(٣)

قد تركوا الاوطان خلوا صفرا

ونحن نقول اليوم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وكان لايشرك فى تلبيته مع الله أحدا من كان على دينه السماوى وجانب الاوثان مثل زيد بن عمرو بن نفيل فلقد كان يستقبل الكعبة ويقول :

لبيك حقاً حقاً تعبدا ورقا

عذت بما عاذ به ابراهم مستقبل القبلة وهو قائم اذ قال

---

(١) أغربة العرب سودانهم (٢) قد . تكون اسما بمعنى حسب أو اسم فعل بمعنى يكفى أو كفى (٣) العَمر بالفتح وبالضم وبضمتين الحياة أى طول الحياة و(الضمر) بالضم وبضمتين الهزال و(الشزر) النظر عن يمين وشمال وشُزّر جمع شزراء

أنفى لك اللهم عان راغم مهما تجشمنى فانى جاشم (١)
البر ابغى لا الخال ليس مهجر كمن قال (٢)

وكانوا فى الجاهلية يطوفون فى الحج بالبيت الحرام (٣) قال مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمى

ونحن ولينا البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير حاضر (٤)

ويجعلون طوافهم سبعا قال حسان بن تبع

ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا وسجدنا عند المقام سجودا

وفى قول حسان وسجدنا عند المقام سجودا دليل على احترامهم مقام ابراهيم وتقديسه وقد اقسم به ابو طالب فى قوله

وموطئ ابراهيم بالصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

ولم تكن عبادة الطواف بالبيت عندهم مقصورة على فريضة الحج .

وكانوا يتمسحون بالحجر الاسود وشاهده قول ابى طالب

وبالحجر الاسود اذ يمسحونه اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل (٥)

---

(١) رغم أنفه ذل و(تجشمنى) تكلفنى على مشقة (٢) فى روايةٍ : البر أبقى و (الخال) الخيلا والكبر و (هجر) مشى فى الهاجرة اى ليس من هجر وتكيس كمن آثر القائلة والنوم (٣) قال صاحب كتاب حجة الله البالغة فى سر احترام البيت « واما الكعبة فكان الناس فى زمن ابراهيم عليه السلام توغلوا فى بناء المعابد والكنائس باسم روحانية الشمس وغيرها من الكواكب وصار عندهم التوحيد الى المجرد غير المحسوس بدون هيكل يبنى باسمه يكون الحلول فيه والتلبس به تقربا منه امرا محالا تدفعه عقولهم بادى الرأى فاستوجب أهل ذلك الزمان أن تظهر رحمة الله بهم فى صورة بيت يطوفون به ويتقربون به الى الله فدعوا الى البيت وتعظيمه ثم نشأ قرن بعد قرن على علم ان تعظيمه مساوق لتعظيم الله والتفريط فى حقه مساوق للتفريط فى حق الله فعند ذلك وجب حجه وأمروا بتعظيمه (٤) كانت ولاية البيت لنابت من بعد اسماعيل ثم صارت بعد لجرهم (٥) قال السهيلى قوله بالحجر الاسود

ومن العرب من كان يطوف بالبيت عاريا حكى ابن هشام فى سيرته وابن العربى أن قريشاً لما ابتدعت رأى الحمس قالوا لاينبغى لاهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حجاجا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا فى ثياب الحمس يستعيرونها منهم للطواف بها حتى انهم كانوا يقفون عند باب المسجد فيقولون للحمس من يعير معوزا من يعير مصونا فان أعاره أحمس ثوبه طاف به فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة فان أنف منهم أحد من رجل او امرأة أن يطوف عريانا اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل القاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا احد غيره ابدا وكانت العرب تسمى هذه الثياب اللقى ـ قال شاعرهم يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه

كفى حزنا كرى عليها كأنها ... لقى بين أيدى الطائفين حريم (١)

فكان رجال الحل اذا لم يعرهم الحمس ثوبا طافوا عراة اما النساء فكانت أحداهن تضع ثيابها كلها الا درعا مفرجا ثم تطوف قالت ضباعة (٢) بنت عامر ابن صعصعة ثم من بنى سلمة بن قشير وهى تطوف بالبيت كذلك

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله (٣)

وروى مسلم بسنده عن هشام عن ابيه قال كانت العرب تطوف بالبيت عراة الا الحمس ـ والحمس قريش وما ولدت ـ كانوا يطوفون عراة الا ان تعطيهم

فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود و (الاصائل) جمع أصيلة والاصل جمع اصيل والاصيلة لغة معروفة فى الاصيل وهو مابعد صلاة العصر الى الغروب (١) حريم اى محرم لايؤخذ ولا ينتفع به (٢) ذكر محمد بن حبيب ان رسول الله خطبها فذكرت له عنها كبرة فتركها فقيل انها ماتت كمدا وحزنا على ذلك قال السهيلى : ان كان صح هذا فما أخرها عن أن تكون اما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين الا قولها (اليوم يبدو بعضه او كله) تكرمة من الله لنبيه وعلما منه بغيرته والله أغير منه (٣) رواية . وما بدا منه فما أحله

الحمس ثيابا فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء — فانزل الله على رسوله فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ماجاءوا به من الحل من الطعام « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين »

على أن من العرب من كان يطوف بالبيت مكشوف السوأة فى غير الحج لغرض يقصده فمن ذلك ما ذكره البغدادى فى خزانة الادب قال : مرض أبو جندب وهوشاعر جاهلى وكان له جار من خراعة اسمه خاطم فقتله زهير اللحيانى وقتلوا امرأته فلما برئ أبوجندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف فعرف الناس أنه يريد شرا فقال

انى امرؤ أبكي على جاريه أبكى على الكعبى والكعبيه
ولو هلكت بكيا عليه كانا مكان الثوب من حقويه

فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته خرج فى الخلعاء من بكر وخزاعه فاستجاشهم على بنى لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بنى لحيان فى العرج فقتل فيهم وسبي من نسائهم وذراريهم

وقد أمسك رسول الله عن الحج حين قدم من تبوك لماذكر مخالطة المشركين للناس فى حجهم وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وبعث ابا بكر بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد عهده من المشركين الا بعض بنى بكر الذين كان لهم عهدالى أجل خاص ثم أردف بعلى .قال أبوهريرة فأمرنى على أن أطوف فى المنازل من منى ببراءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى(١) فقيل له بم كنت تنادى فقال بأربع لايدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف البيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لاعهد له — وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى سترون بعد الاربعة اشهر بأنه لا عهد بيننا و بين ابن عمك الا الطعن

(١) صحل صوته بح . رووا أنه انما أرسل علياً بذلك لان العرب لاتعتد برسالة الامير الا اذا كان المرسل بها من أهله

والضرب ثم ان الناس فى تلك المدة رغبوا فى الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا وكرها وحج رسول الله فى العام القابل وحج المسلمون وقد عاد الدين كله لله رب العالمين

لقد علمت انقسام العرب بالنسبة للطواف فى ثيابهم الى حلة وحمس قال محمد بن حبيب ـ وهناك نوع ثالث وهم الطلس كانوا يأتون من أقصى اليمن طلسا من الغبار فيطوفون البيت فى تلك الثياب الطلس فسموا بذلك

اما الرمل(١) فى الثلاثة الاشواط الاولى من الطواف بالبيت والاضطباع(٢) فيه فهو من سنن الاسلام وأصله ان النبى رمل وندب أصحابه اليه لاظهار الجلد للمشركين وابداء القوة لهم فانه لما قدم مكة اصطفت كفار قريش عند دار الندوة ينظرون له ولاصحابه ويستضعفونهم ويقولون أوهنتهم حمى يثرب فلما دخل رسول الله المسجد اضطبع بردائه ورمل . ومقتضاه عدم سنيته بعد أن أظهر الله الاسلام لكن ثبتت سنيته بما روى عن ابن عمر أنه قال كان رسول الله اذا طاف بالبيت الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا وكذا أصحابه رملوا من بعده وكذا المسلمون الى يومنا هذا فصار الرمل سنة متواترة

وكانوا فى الجاهلية يسعون بين الصفا والمروة وشاهده قول أبى طالب

واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة وتماثل(١)

وكان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة ـ وهما صنمان فكانوا يسعون بينهما ويتمسحون بهما وكان عمرو بن لحى نصب مناة بالمشلل مما يلى قديدا

---

(١) الرمل الهرولة فى السير (٢) والاضطباع ان يدخل الرداء من تحت ابطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ويبدى منكبه الايمن ويغطى الايسر سمى اضطباعا لما فيه من ابداء الضبعين وهما العضدان

(١) ثنى المروة وهى واحدة جريا على مذهب العرب كقول الفرزدق عشية سال المربدان كلاهما ـ وانما هو مربد البصرة وقولهم تسألنى برامتين سلجما والعرب يشيرون بالتثنية الى جانبى المكان المثنى أو الى أعلاه وأسفله فيجعلونها اثنين على هذا المغزى و(تماثل) جمع تمثال وأصله تماثيل فحذف الياء

وكانت الازد والانصار وغسان تهل لها بالحج وكان من أهل لمناة لايحل له ان يطوف بين الصفا والمروة فلماجاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لما كان من فعل الجاهلية فانزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) . وروى مسلم بسنده عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً وما أبالى الا أطوف بينهما . قالت بئس ما قلت يا ابن أختى طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون فكانت سنة وانما كان من أهل لمناة الطاغية التى بالمشلل لايطوفون بين الصفا والمروة فلما كان الاسلام سألنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله عزوجل « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما » ولوكان كما تقول لكانت فلا جناح عليه ألاّ يطوف بهما . قال الزهرى : فذكرت ذلك لابى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاعجبه ذلك وقال ان هذا العلم

ويظهران مرتبة اساف ونائلة فى الالوهية عندهم دون مرتبة مناة فلذلك لم يجيزوا لمن أهل لمناة ان يسعى بينهما ويتمسح باساف ونائلة المنصوبين عليهما

وكانوا يقفون فى الجاهلية بعرفة فى الحج قال العدوى

واقسم بالبيت الذى حجت له قريش وموقف ذى الحجيج الآل (١)

وقول النابغة الذبيانى

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع (٢)

بمصطحبات من لصاف وثبرة يزرن الا لا سيرهن التدافع (٣)

وقال أبو طالب

---

(١) الال كسحاب وكتاب جبل عن يمين الامام بعرفة سمى بذلك لان الحجيج اذا رأوه ألوا فى السيرأى اجتهدوا ليدركوا الموقف (٢) الريبة الشك و (ذو أمة) بالضم والكسر ذو دين واستقامة (٣) لصاف وثبرة موضعان اقسم بالابل التى يمتطيها الحجاج الى مكة تعظيما لها و (سيرهن التدافع) اى من الاعياء يعنى يتحاملن تحاملا من الجهد والتعب

وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له الال الى مفضى الشراج القوابل(١)

وكان وقوفهم يوم تاسع الحجة

وكانت قريش ومن تبع دينها حين ابتدعت رأى الحمس تقف بالمشعر الحرام وهو جبل بالمزدلفة يقال له قزح (٢) ولا تجاوز المزدلفة الى عرفة كسائر الناس فقد قالت قريش نحن ولاة البيت وسكان الحرم فلا يحل لنا تعظيم شيء من الحل كتعظيم الحرم لئلا تستخف العرب بحرمتنا فتركوا لذلك الوقوف بعرفة والافاضة منها لان عرفة من الحل وهم يعرفون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب الوقوف بها والافاضة منها فلما حج النبي عليه السلام حجة الاسلام ظنت قريش انه سيقف بالمشعر الحرام كعادتهم ولا يتجاوزه فتجاوزه الى عرفات

وأنزل الله فى ابطال ما أحدث الحمس من ترك الوقوف بعرفة « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » (٣)

ولقد طهر الله نبيه فى الجاهلية من صنع الحمس ووفقه لدين ابراهيم . روى مسلم فى صحيحه عن جبير بن مطعم قال أضللت بعيرا لى فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً مع الناس بعرفة (٤) فقلت والله ان هذا لمن الحمس فما شأنه هاهنا . وكانت قريش تعد من الحمس

وكانوا يدفعون من عرفات قبل الغروب . قال صاحب كتاب حجة الله البالغة . (ولما كان ذلك قدراً غير ظاهر ولا يتعين ومثل هذا الاجتماع لا بدله

---

(١) المشعر الاقصى عرفة والال جبل بعرفة فهو بدل بعض من كل و(الشراج) جمع شرج وهو مسيل الماء و(مفضى الشراج) مجمعها و(القوابل) المتقابلة كناية عن اجتماع الناس فى مكان واحد وهو عرفة (٢) قيل أن المشعر الحرام كل مزدلفة (٣) الخطاب فى أفيضوا لقريش ومن دان دينهم والمراد بالناس من عداهم من سائر العرب أمرهم ان يفيضوا من عرفات وهو يقتضى تكليفهم بالوقوف عليه ليمكن الافاضة منه (٤) روى الترمذى أن حجات النبي اثنتان بمكة قبل الاسلام والثالثة بالمدينة وهى حجة الوداع

من تعيين وجب أن يعين بالغروب) وكان الذى يلى الاجازة للناس بالحج من عرفة الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وولده من بعده ويقال له ولولده صوفة (١) وكانت ولايته من قبل ملوك كندة كما نقله بعضهم . وذهب ابن هشام الى انه انما ولى ذلك لان أمه وكانت امرأة من جرهم كانت لا تلد فنذرت لله ان هى ولدت رجلا أن تصدق به على الكعبة ليكون عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الاول مع اخواله من جرهم فولى الاجازة للناس من عرفة لمكانه الذى كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا . قال مر بن أد يذكر ولده الغوث ووفاء نذر أمه

انى جعلت رب من بنيه ربيطة بمكة العلية (٢)
فباركن لى بها اليه واجعله لى من صالح البرية

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضاعه

قال السهيلى « وانما خص قضاعة بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر الحرم كما كانت خثعم وطيئ تفعل . وكذلك كانت النسأة تقول اذا حرمت صفرا أو غيره من الاشهر بدلا من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت

---

(١) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشئ من خدمة البيت أو بشئ من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وقال ابن الكلبى . انما سمى الغوث ابن مر صوفة لانه كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيطا للكعبة ففعلت فقيل له صوفة ولولده وهو الربيط ـ وقيل ان أم الغوث لما ولدته وكانت نذرت ان ولدت غلاما لتعبدنه للكعبة ربطته عند البيت فأصابه الحر فمرت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار ابنى الا صوفة فسمى صوفة

عليكم الدماء الا دماء المحلين فلما انقرض بنو الغوث عن آخرهم ورثهم من بعدهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . وكانت الاجازة فى آل صفوان ابن جناب بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم قال ابن اسحاق وكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام كرب بن صفوان وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى

لا يبرح الناس ماحجوا معرفهم(١) حتى يقال أجيزوا آل صفوانا
مجد بناه لنا قدماً أوائلنا وأورثوه طوال الدهر اخرانا

وكانت الاجازة من منى لصوفة أيضا كما سنذكره

(النزول بمزدلفة ومنى وبقية أعمال الحج)

كانوا اذا دفعوا من عرفة فى الحج باتوا ليلة بمزدلفة قال أبو طالب

وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل(٢)

والمبيت بمزدلفة سنة قديمة فى العرب . وكانوا فى الجاهلية يوقدون ناراً على قزح وهو جبل بمزدلفة ليراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها كما قال السيوطى وغيره قصى بن كلاب ولا تزال توقد الى الآن . وكانت الافاضة من المزدلفة فى عدوان لا يدفع الحاج منها حتى يجيزهم رجل من عدوان بن عمرو ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وفى أجازتهم يقول ذو الاصبع العدوانى

ومنهم من يجيز الناس بالسنة والفرض

روى أن هذه الاجازة كانت لخزاعة فغلبتها عدوان عليها ولم تزل فيهم يتوارثونها حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل(٣)

---

(١) المعرف الموقف بعرفات وفى رواية : ولا يريمون فى التعريف موقفهم

(٢) جمع بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة هى المزدلفة سميت بذلك من التزلف والازدلاف لان الحجاج اذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا اليها أى تقربوا قال النووى . سميت بجمع للجمع بين المغرب والعشاء ومقتضاه أن هاتين الصلاتين كانتا فى الجاهلية (٣) كذا قال ابن اسحاق وقال الخطابى اسمه

أحد بنى وايش بن زيدبن عدوان . وكان يدفع بالناس على حمارله اسود أجاز الناس عليه اربعين سنة حتى ضرب المثل به فقيل (أصح من عيرأبى سيارة) وقيل كانت له أتان سوداء عوراء خطامها ليف دفع عليها أربعين سنة وفيه يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبى سيارة(١) وعن مواليه بنى فزاره (٢)
حتى أجاز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره (٣)

وكانت اجازته أن يتقدمهم على حماره ثم يخطبهم فيقول

لا هم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضاعه (٤)
لا هم مالى فى الحمار الاسود أصبحت بين العالمين أحسد
هلا يكاد ذو البعير الجلعد فق أبا سيارة المحسد (٥)
من شر كل حاسد اذا حسد ومن أذاة النافثات فى العقد(٦)

اللهم حبب بين نسائنا ـ وعاد بين رعائنا واجعل المال فى سمحائنا أوفوا بعهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يقول

أشرق ثبير كيما نغير ـ ثم ينفر ويتبعه الناس . حكى ذلك الميدانى فى مجمع الامثال والاصبهانى عن أبى عمرو الشيبانى والكلبى وقد جمعنا بين أقوالهم

وكانوا فى الجاهلية لاينفرون من مزدلفة الا والشمس على رؤوس الجبال ولذلك قال مجيزهم أشرق ثبير كيما نغير . وثبير جبل عال بجوار مكة تطلع عليه الشمس قبل كل موضع أى ادخل ياثبير فى الشروق كيما نسرع للنحر ولم يقرهم الاسلام على ذلك . ففى صحيح البخارى عن عمر انه صلى بجمع الصبح ثم وقف فقال ان المشركين كانوا لايفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون أشرق العاصى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى (١) روايه : خلوا السبيل عن أبى سيارة (٢) يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزارة من قيس عيلان (٣) أى يدعو الله عز وجل يقال اللهم كن لنا جاراً مما نخافه أى مجيرا (٤) لان من قضاعة محلين (٥) الكيد المكروه و (الجلعد) الصلب الشديد و(فق) من الوقاية وهى الصون (٦) الأذاة المكروه

ثبير وان النبى صلى الله عليه وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس فاذا أفاضوا من مزدلفة نزلوا منى وفيها كانوا يرمون الجمار وينحرون ويحلقون فقد كانوا اذا حجوا ساقوا الهدى فان كان من الابل قلدوها النعال وألبسوها الجلال وأشعروها لتعرف (١) فلا يتعرض لها أحد الا المحلين من طيء وخثعم قال عارق الطائى وهو جاهلى يخاطب الملك عمرو بن هند

حلفت بهدى مشعر بكراته ... يخب بصحراء الغبيط درادقة (٢)

لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم ... لانتحين العظم ذوانا عارقه (٣)

يقول حلفت أيها الملك بقرابين الحرم وقد أعلمت بكراتها بعلامة الاهداء يسرع بصحراء ذلك الموضع صغارها لئن لم تتدارك مافاتنا من عدلك لاميلن على كسر العظم الذى أخذت ما عليه من اللحم . والمعنى أكسر عظمكم ان لم ترجعوا عن ذلك الظلم — وأول من أهدى البدن الى البيت على ماذكره السيوطى الياس بن مضر

وينحرون هديهم بمنى قال شاس بن عبدة أخو علقمة الفحل

حلفت بما ضم الحجيج الى منى ... وما نحج من نحر الهدى المقلد (٤)

وقدم الشنفرى منى وبها حرام بن جابر فقيل للشنفرى هذا قاتل أبيك

(١) التقليد أن تقلد فى عنقها قطعة جلد أو نعل بالية و (الجلال) جمع جل بالضم وبالفتح هو ما تلبسه الدابة لتصان به و (الاشعار) أن يطعن السنام فيسيل الدم عليه ليستدل بذلك على كونه هديا (٢) الهدى ما يهدى الى الحرم من النعم و (مشعر) اسم مفعول من الاشعار وتقدم تفسيره و (بكراته) جمع بكرة وهى الشابة من الابل و (يخب) من الخبب وهو خطو فسيح . والباء من بصحراء بمعنى فى و (الغبيط) اسم موضع و (الدرادق) جمع دردق كجعفر وهى صغار الابل والضمير فى بكراته ودرادقه للهدى (٣) وانتحبن من الانتحاء للشىء وهو التعرض له و(ذو) صفة للعظم و(عارقه) اسم فاعل من عرقت العظم أكلت ما عليه من اللحم (٤) النحج سيلان الدم و (الهدى) كغنى ما أهدى الى مكة

فشد عليه وقتله ثم سبق الناس على رجليه وقال

قتلت حراما مهديا بملبد ببطن منى وسط الحجيج المصوت

وقال أبو قيس بن الاسلت من قصيدة يأمر فيها قريشا بالكف عن رسول الله ويذكر فضلهم وأحلامهم

يرى طالب الحاجات عند بيوتكم عصائب هلكى تهتدى بعصائب

لقد علم الاقوام أن سراتكم على كل حال خير أهل الجباجب

قال البرقى الجباجب هي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب تفتخر بها وتعظمها

وكانوا يسوقون الهدى فى العمرة أيضا وشاهده ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أحرم عام ست من الهجرة بالعمرة هو وأصحابه وساق معه الهدى سبعين بدنة وقد جللها وأشعرها وأشعر المسلمون بدنهم وقلدوها وليس معهم الا السيوف فى القرب فسمعت قريش بخروجهم فاستنفروا من أطاعهم وعاهدوا الله الا يدخلوا عليهم مكة عنوة أبدا ونزل رسول الله بالحديبية وهى على تسعة أميال من مكة فأرسلت اليه قريش رسلا تطلب منه الانصراف عن مكة عامه فمن بعثوا لذلك الحليس بن علقمة وكان يتأله ـ والمتأله المعظم لأمر الله كالحج والعمرة ونحو ذلك مما بقى عندهم من دين ابراهيم عليه السلام فلما رآه رسول الله قال لاصحابه هـذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى بقلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ورجع الى قريش ولم يأت رسول الله أعظاما لما رأى وصاح قائلا هلكت قريش ورب الكعبة أن القوم انما أتوا عمارا وقال لاصحابه رأيت البدن قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقول الحليس هذا يدل على انهم كانوا يسوقون الهدى فى العمرة أيضا وكانوا يحلقون رؤوسهم بمنى قال الشاعر

فان تمنعوا منا السلاح فعندنا سلاح لنـا لا يشترى بالدراهم

جنادل أملاء الا كف كأنها رءوس رجال حلقت بالمواسم(١)

وقال زهير بن أبى سلمى

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى وماسحقت فيه المقادم والقمل (٢)

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن الى الليل الا أن يعرجنى طفل (٣)

وذكر صاحب تاج العروس فى مادة (قرر) ان ابن الكلبى قال عيرت هوازن وبنو أسد بأكل القرة . وذلك أن أهل اليمن كانوا اذا حلقوا رءوسهم بمنى وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق فاذا حلقوا رءوسهم سقط الشعر مع ذلك الدقيق ويجعلون ذلك الدقيق صدقة فكان أناس من أسد وقيس يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر وينتفعون بالدقيق قال الشاعر

ألم تر جرما أنجدت وأبوكم مع الشعر فى قص المليد شارع

اذاقرة جاءت يقول أصب بها سوى القمل انى من هوازن ضارع

ولم تكن العرب قاطبة تحلق رءوسها فى منى وشاهده قول ابى المنذر « ان الأوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها كانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رءوسهم فاذا نفروا أتوا مناة فحلقوا رءوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما الا بذلك . فلاعظام الأوس والخزرج يقول عبد العزى بن وديعة المزنى أوغيره من العرب

انى حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج

وكانت العرب جميعاً فى الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً الخزرج فلذلك يقول عند محل آل الخزرج »

وكانوا يرمون الجمار قال ابو طالب

---

(١) موسم الحج مجتمعة (١) والمنازل من منى حيث ينزل الناس منها و (سحقت) حلقت . يقال سحق رأسه وسبته وحلطه حلقه وروى سحفت بالفاء ومعناه حلقت و(المقادم) جمع مقدم الرأس . وأراد بالقمل الشعر أى وشعر القمل كقوله تعالى واسأل القرية (٢) لا دأبن من الدؤوب فى السير وقوله (الا أن يعرجنى طفل) أراد الا أن تلقى ناقتى ولدها فتحبسنى وأقيم عليها .

وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها يؤمون قذفا رأسها بالجنادل

وقال الهذلى

لأدركهم شعث النواصى كأنهم سوابق حجاج توافى المجمرا (١)

قال ابن اسحاق « كانت صوفة هم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة تدفع بالناس من عرفة وتجيز بهم اذا نفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه فاذا فرغوا من رمى الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجانبي العقبة فحبسوا الناس وقالوا أجيزى صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا فورثهم فى ذلك آل صفوان بن جناب بن شجنة » وقد أقر قصى ابن كلاب لما غلب على أمر مكة آل صفوان وعدوان والنسأة على ما كانوا عليه لانه كان يراه دينا . فما زالوا كذلك حتى جاء الاسلام . وروى مجاهد أنهم كانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم فى الجاهلية وفعال آبائهم فيقول الرجل منهم كان أبى يطعم الطعام ويحمل الحمالات والديات ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فنهى الله عن ذلك فى قوله « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا »

ثم يختمون أعمال الحج بالطواف بالبيت فاذا فعلوا ذلك حل لهم كل ما كان محرما فى الحج ومنهم من كان لا يتحلل بذلك . روى ابن العربى أن قريشاً وبنى كنانة وخزاعة وجميع مضر كانوا يعظمون العزى فاذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويمكثون عندها يوما . وقال أيضا ان الازد وغسان كانوا اذا طافوا بالبيت

---

(١) المجمر مشدد الميم حيث يقع حصى الجمار

وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة التى على ساحل البحر مما يلى قديد وكانوا يعظمونها ويحجونها وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما

ولنتمم الكلام على التلبية فى الحج قبل الانتقال منه فنقول قال أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران ان تلبيات العرب منها مسجوع كقولهم لبيك ربنا لبيك . والخير كله بيديك . ومنها موزون من منهوك الرجز كقولهم

لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك
الا شريك هو لك تملكه وما ملك
أخو بنات بفدك (١)

فتلك من تلبيات الجاهلية وفدك يومئذ فيها اصنام وكقولهم

لبيك يا معطى الأمر (٢) لبيك عن بنى النمر
جئناك فى العام الزمر (٣) نأمل غيثا ينهمر
يطرق بالسيل الخمر (٤)

ومنها من منهوك المنسرح كقولهم

لبيك رب همدان من شاحط ومن دان
جئناك نبغى الاحسان بكل حرف مذعان (٤)
نطوى اليك الغيطان نأمل فضل الغفران

وكقولهم

لبيك عن بجيله الفخمة الرجيله (٥)
ونعمت القبيله جاءتك بالوسيله
تؤمل الفضيلة

---

(١) كانوا يقولون ان الاصنام بنات الله و (فدك) قرية بخيبر (٢) الامر ككتف المبارك (٣) الزمر ككتف القليل الشعر والصوف (٤) الخمر ما وارك من شجر وغيره (٤) الحرف الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة و(ناقة مذعان) منقادة سلسلة الرأس (٥) رجل راجل ورجيل مشاء وكامير الرجل الصلب

ورووا فى تلبية بكر بن وائل

لبيك حقا حقا تعبداً ورقا
جئناك للنصاحه لم نأت للرقاحة(١)

ورووا فى تلبية تميم

لبيك لولا ان بكرا دونكا يشكرك الناس ويكفرونكا
ما زال منا عنج يأتونكا (٢)

ورووا فى تلبية همدان

لبيك من كل قبيل لبوك (٣) همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم واتابوك فاسمع دعاء فى جميع الاملوك(٤)

ومن التلبية قولهم

لبيك عن سعد وعن بنيها وعن نساء خلفها تعنيها
سارت الى الرحمة تجتنيها

(العمرة)

العمرة من شريعة ابراهيم عليه السلام . وكانت العرب فى الجاهلية تعتمر وتحرم للعمرة وشاهده قول رجل من زبيد فى الجاهلية منعه العاص بن وائل ثمن بضاعة اشتراها منه وكان ذلك سببا لحلف الفضول

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
أقائم من بنى سهم بذمتهم أم ذاهب فى ضلال مال معتمر

وغالب اعتمارهم فى شهر رجب كما شرع حينئذ فى دين ابراهيم ولذلك جعل الله رجبا شهرا حراما ليتمكن مريد العمرة من السفر الى مكة وقضاء عمرته والعود الى بلده آمنا على نفسه وماله وأهله . وعندهم أن العمرة فى أشهر الحج من أعظم الذنوب وأبطل الشارع ذلك . روى ابن عباس قال كانوا يرون أن العمرة فى أشهر

---

(١) الرقاحة الكسب والتجارة (٢) العنج الجماعة من الناس (٣) لبوك أى لزموا أمرك (٤) الملك صاحب الملك جمعه ملوك وأملاك وملكاء وملاك وملك كركع و(الاملوك) بالضم اسم للجمع

الحج من أجل الفجور فى الارض وكانوا يسمون المحرم صفراً (١) ويقولون اذا برأ الدَّبر (٢) وعفا الأثر (٣) وانسلخ صفر (٤) حلت العمرة لمن اعتمر قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة (٥) مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة (٦) فتعاظم ذلك عندهم فقالوا يارسول الله أى الحل قال : الحل كله (٧) . ومن أعمال العمرة الطواف بالبيت وشاهده ماروى أن عميا (رجل من عدوان وقيل من اياد وكان فقيه العرب فى الجاهلية ويفتى فى الحج) أقبل معتمرا ومعه ركب فنزلوا بعض المنازل فى يوم شديد الحر وكان على مرحلتين من مكة فقال عمى لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى وافوا البيت من الغد فى ذلك الوقت . فقال فى ذلك كرب بن جبيلة العدوانى

وصك بها نحر الظهيرة صكة عمى ولا يبغين الا ظلالها (٨)
وجئن على ذات الصفاح كأنها نعام تبغى بالشطى رئالها (٩)
فطوفن بالبيت الحرام وقضيت مناسكها ولم تحل عقالها

وقد قدمنا فى الحج أنهم كانوا يسوقون الهدى فى العمرة أيضا

قال ابن الاثير فى الكامل . وكان من عادة الاوس اذا أراد أحدهم

---

(١) هو النسيء وتقدم (٢) برأ نقه و(الدبر) الجرح الذى يكون فى ظهر الابل من اصطكاك الاقتاب والحمل عليه ومشقة السفر وكان يبرأ بعد انصرافهم من الحج (٣) (عفا الاثر) أى درس وامحى أثر الابل وغيرها فى سيرها لطول مرور الايام وقال الخطابى المراد أثر الدبر (٤) صفر هو المحرم فى نفس الامر وقد سموه صفرا (٥) رابعة أى من ذى الحجة (٦) أمرهم أن يجعلوا الحجة عمرة وذلك خصوصية لهم ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية من تحريم العمرة فى أشهر الحج . (٧) سألوا أهو الحل العام لكل ماحرم بالاحرام حتى قربان النساء فأجابهم النبى بانه الحل العام لكل ماحرم به (٨) عمى تصغير أعمى على الترخيم وسميت الظهيرة صكة عمى به و (نحر الظهيرة أولها)
(٩) الرئال جمع الرأل وهو ولد النعام

العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف(١) النخل

الطهارة – الصلاة – الزكاة – الصوم — الاعتكاف

كانوا يتطهرون من الحدث الاصغر والاكبر فى الجاهلية ويصلون ويزكون ويصومون ويعتكفون . أما الطهارة بالوضوء لديهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة (ان هذا الوضوء كان يفعله المجوس واليهود وغيرهم . وكانت تفعله حكماء العرب) وأما الطهارة بالغسل فشاهدها ماذكره الزجاجى فى أماليه قال (وكان الحنيف فى الجاهلية من كان يحج البيت و يغتسل من الجنابة ويغسل موتاه ويختتن فلما جاء الاسلام صار الحنيف المسلم) وموجب الغسل عندهم الجنابة والحيض وكانا مسلمين فيهم قبل الاسلام والدليل على الاغتسال عند انقطاع الحيض ماروى أن عمرة بنت سبيع كانت مع زوجها فى سفر وكانت حائضا فطهرت ومعهما ماء قليل فاغتسلت فلم يكف لغسلها وأنفدت الماء فبقيا عطشانين فقال لها زوجها كلمته التى جرت مثلا . وفيها قال الفرزدق

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها ولا هي من ماء العذابة طاهر (٢)

وقال المخبل

ان قشيرا من لقاح بن حازم كغاسلة حيضا وليست بطاهر

والغسل والوضوء فيهم من آثار الاديان السماوية التى أقرها الاسلام . ولقد تابعنا صاحب كتاب حجة الله البالغة فى القول بموجب الوضوء عندهم وكلام السهيلى يقتضى خلافه فانه كتب على قول ابن هشام فى غزوة السويق ان أبا سفيان لما رجع من مكة ورجع فل قريش من بدر نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا مانصه (فى هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسماعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح ولذلك سموها جنابة وقالوا رجل جنب وقوم جنب لمجانبتهم فى تلك الحال

---

(١) الكرانيف جمع كرناف بضم الكاف وكسرها وهى أصول السعف الغلاظ العراض تبقى فى الجذع بعد قطع السعف (٢) العذابة الرحم

البيت الحرام ومواضع قربانهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة فى القرآن أعنى قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره — وأما الحدث الاصغر وهو الموجب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضائه وكيفيته والسبب الموجب له كالقيام من النوم والمجئ من الغائط وملامسة النساء ولم يحتج فى أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة » .

وأما الصلاة عندهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « وكانت فيهم الصلاة وكان أبوذر رضى الله عنه يصلى قبل أن يقدم على النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين . وكان قيس بن ساعدة الايادى يصلى . والمحفوظ من الصلاة فى أمم اليهود والمجوس وبقية العرب أفعال تعظيمية لاسيما السجود وأقوال من الذكر . وكانوا تركوا الصلاة والذكر وأعرضوا عنهما فبعث النبي عليه السلام وهذا حالهم » وروى مسلم فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبو ذر يا ابن أخى صليت سنتين قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم قال . قلت . فأين كنت توجه . قال حيث وجهنى الله

وكان منهم من يستقبل الكعبة فى صلاته كشرع ابراهيم واسماعيل حكى عامر بن ربيعة انه لقى زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حراء فقال ياعامر انى قد فارقت قومى وأتبعت ملة ابراهيم وما كان يعبد اسماعيل من بعده . كان يصلى الى هذه البنية وروى الاصبهانى فى الاغانى أن زيد ابن عمرو بن نفيل كان يستقبل الكعبة فى صلاته ويقول يا مولاى :

لبيك حقا حقا تعبدا ورقا
البر أرجو لا الخال وهل مهجر كمن قال
عذت بما عاذ به ابراهم مستقبل الكعبة وهو قائم
يقول أنفى لك عان راغم مهما تجشمنى فانى جاشم

ثم يسجد — وحكوا فى سر مشروعية استقبال الكعبة فى الصلاة أن الكعبة من شعائر الله عند العرب أذعن لها أقاصيهم وأدانيهم وجرت السنة عندهم باستقبالها فلم يكن هناك معنى للعدول عنها

وأما الزكاة عندهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « ان العرب فى الجاهلية كانت فيهم الزكاة . وكان المعمول عندهم منها قرى الضيف وابن السبيل وحمل الكل (١) والصدقة على المساكين وصلة الارحام والاعانة فى نوائب الحق (٢) وكانوا يمدحون بها ويعرفون انها كمال الانسان وسعادته . قالت خديجة لرسول الله حين بدئ بالوحى . فوالله لايخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق . وان سبيعة ابن ربيع المشهور بابن الدغنة (والدغنة أمه) قال مثل ذلك لأبى بكر » هذا ولاشك ان هذه الشمائل العربية فيهم من آثار الاديان السماوية فان قول خديجة لايخزيك الله أى لفعلك ما أمر به وفى رواية ليس للشيطان عليك سبيل أى لأن أعمالك من الاعمال الرحمانية التى وردت بها الشرائع السماوية وحكى بعضهم أن الزكاة فيهم من شريعة ابراهيم عليه السلام

وأما صومهم فى الجاهلية فكان من الفجر الى غروب الشمس وقد ذكر ذلك صاحب كتاب حجة الله البالغة . ومما كانت تصومه قريش يوم عاشوراء وشاهده مارواه مسلم فى صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه . وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (٣) فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء

---

(١) الكل بفتح الكاف وتشديد اللام العيال واليتيم ومن لا يستقل بأمره وحمل الكل الاعانة بالانفاق على العيال والضعفاء (٢) نوائب الحق الحوادث التى تكون فى الحق دون الباطل (٣) يحتمل أن يراد بالمدينة قباء أو يراد بها باطنها

فسئلوا عن ذلك . فقالوا هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى وبنى اسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيماله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه . قال النووى . وكان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود فى الجاهلية وتتخذه عيدا ويلبسون نساءهم اللباس الحسن والحلى

قال المرحوم محمود باشا الفلكى فى كتابه نتائج الافهام فى تقويم العرب قبل الاسلام » وفى كونه صلى الله عليه وسلم وجدهم صائمين ذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم أو هو التاسع منه كما يقول ابن عباس . فكيف يكون فى ربيع الاول . وأجيب بأن السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذى كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق أنه فى ذلك الزمن أى زمن قدومه صلى الله عليه وسلم كان وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سأل ومما يؤيد ذلك مافى المعجم الكبير للطبرانى عن خارجة بن زيد عن أبيه قال : ليس يوم عاشوراء الذى يقول الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله . وكان يدور فى السنة . وكان الناس يأتون فلانا اليهودى فيسألونه فلما مات أتوا زيد بن ثابت فسألوه » ثم نقل عن البيرونى فى كتاب الآثار انه قال « وقد قيل أن عاشوراء عبرانى معرب عاشور وهو العاشر من تشرى اليهود الذى صومه صوم الكبور وأنه اعتبر فى شهور العرب فجعل فى اليوم العاشر من أول شهورهم كما هو اليوم العاشر من أول شهور اليهود » ثم قال فمن جميع ما ذكر ينتج أن النبى دخل المدينة فى ١٠ تشرى وقد فرض فى التوراة صوم هذا اليوم واختلف الرواة وأصحاب السير فى يوم دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة أهو اليوم الثانى أم الثامن أم الثانى عشر من ربيع الاول كما أنهم اتفقوا على أن هذا اليوم كان يوم الاثنين (١) وعندى أن أرجح

---

(١) دعواه الاتفاق ممنوعة فقد حكى السهيلى أن ابن الكلبى قال . خرج عليه السلام من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة

هذه الايام مايدل الحساب على أنه كان يوم الاثنين. وحيث أن الحساب لا يؤدى البتة الى أن الثانى أو الثانى عشر من ربيع الاول كان يوم الاثنين تعين بالضرورة ان الثامن هو يوم وقوع الحادثة . وتكون الخلاصة أن الهجرة أو دخول النبى عليه الصلاة والسلام المدينة كان فى يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد و ١٠ تشرى سنة ٤٣٨٣ للخليقة

وأما الاعتكاف فكانوا يعدونه قربة من القرب وينذرونه وشاهده ما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب قال يارسول الله انى نذرت فى الجاهلية أن أعتكف ليلة فى المسجد الحرام . قال . فأوف بنذرك

وكذلك كانت تعد المجاورة قربة . لما رواه عبيد بن عمير بن قتادة قال . كان رسول الله يجاور فى حراء من كل سنة شهرا . وكان ذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية والتحنث التبرر (١) وشاهده قول أبى طالب

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر فى حراء ونازل (٢)

فقد أقسم أبو طالب بالصاعد جبل حراء للتعبد فيه وبالنازل منه

وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاور ذلك الشهر أن يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول مايبدأ به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته . وأول مانزل عليه الوحى كان بحراء فى جواره . قال ابن عبد البر ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد

يوم الجمعة لثنتى عشرة منه (١) العرب تقول التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون بالفاء الثاء وتفعل تقتضى الدخول فى الفعل وهو الاكثر فتحنث وتبرر بمعنى دخل فى الحنيفية وفى البر (٢) ثور وثبير جبلان من جبال مكة . وفى البيت رواية لابن هشام وهى وراق ليرقى فى حراء ونازل ولان الراقى لايرقى قال السهيلى وأصح الروايتين وراق لبر فى حراء ونازل قال البرقى هكذا رواه ابن اسحاق وغيره وهو الصواب

ولذلك لم يسم عبيد بن عمير جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد ولكنه من جبال الحرم

الاستسقاء بالدعاء وبالنار

كانت العرب فى الجاهلية اذا حبس عنهم المطر لجئوا الى الله تعالى يستمطرونه ليكشف مانزل بهم من البلاء وكانوا كثيرا مايستمطرون فى الاماكن المطهرة طمعا فى اجابة الدعاء كما كانوا يستسقون بمن يرجون الخير بيمن طلعته

والاستسقاء فيهم من زمن قديم وهو من بقايا الشرائع السماوية . فقد ذكر أن عادا أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هودا فأرسلوا وفدا الى مكة يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عسير ولقيم بن هزال ومرثد بن مسعد . وكان مسلماً يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر . ولقمان بن عاد فى سبعين رجلا من قومهم فاستسقوا فأرسل الله على عاد سحابة سوداء ملأها عذابا فلما طلعت عليهم استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا واذا به ما استعجلوا به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ مرت به فأهلكهم الله بريح عاتية تركتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية . وعلم الوفد حين رجعوا بهلاك قومهم . وفى ذلك يقول عباس بن مرداس السلمى

فى كل عام لنا وفد نسيرهم ... نختارهم حسبا منا وأحلاما
كانوا كوفد بنى عاد أضلهم ... قيل فأتبع عام منهم عاما
عادوا فلم يجدوا فى أرض قومهم ... الا مغانيهم قفرا وآراما

ولقد حفظ لنا التاريخ مثلا من دعواتهم فى الاستسقاء نذكره لما فيه من الفائدة والبلاغة . فمن ذلك ماحدث به مخرمة بن نوفل قال : سمعت أمى رقيقة بنت أبى صيفى بن هاشم بن عبد مناف وكانت لدة (١) عبد المطلب . قالت تتابعت على قريش سنون أمحلت (٢) الارض وأذهبت الاموال وأقحلت (٣) اللحم وأرقت العظم وأشفين (٤) على الانفس فبينما أنا نائمة اللهم أو مهومة (٥) اذا

---

(١) اللدة الترب بكسر التاء أى النظير فى السن (٢) أمحلت أقحطت (٣) أقحلت أيبست (٤) أشفى أشرف (٥) المهوم من يكون بين النائم واليقظان

أنا بهاتف صيت (١) يصرخ بصوت صحل(٢) أقشعرله جلدى يقول :يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم (٣) أيامه وهذا أوانه وابان نجومه (٤) فحيهلا بالحيا والخصب والفلاح (٥) ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا طوالا عظاما أبيض بضا أوطف الاشفار(٦) سهل الخدين (٧) أشم العرنين(٨) مقرون الحاجبين له شرف يكظم عليه وسنة تعزى (٩) اليه الا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن (١٠) رجل فليسنوا (١١) من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن(١٢) وليطوفوا بالبيت سبعا وليرتقوا أباقبيس الا وفيهم الطيب الطاهر ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا فغشتم (١٣) اذا شئتم وعشتم قالت فأصبحت علم الله مذعورة مفراة قد قف لها جلدى وولّه عقلى (١٤) فاقتصصت رؤياى فذممت (١٥) فى شعاب مكة فوالحرمة والحرم ماسمع بها أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد عبد المطلب (١٦) وتتامت اليه رجالات قريش

---

(١) الصيت البعيد الصوت (٢) الصحل صوت فيه بحة (٣) أظل دنا وقرب (٤) النجوم الطلوع (٥) حيهل بكذا أى عليك به و (الحيا) المطر و (الفلاح) البقاء (٦) الوسيط من قولهم أوسطهم حسنا أى اكرمهم وأشرفهم و(الطوال) الطويل و(العظام) العظيم و(البض) الممتلئ وفى رواية أوطف الاهداب و(الاوطف) طويل الاهداب ـ و(الاهداب) شعر أشفار العيون مفرده هدب (٧) سهل الخدين قليل لحمهما (٨) شمم العرنين طول طرف الانف (٩) كظم بمعنى أمسك ومنه يكظم غيظه و(السنة) السيرة و(تعزى) أى تنسب (١٠) الدلف مشى على مهل كمشى الشيخ و (البطن) من بطون العرب دون القبيلة وقد يطلق عليها (١١) سن عليه الماء بالسين المهملة صبه (١٢) استلام الركن ضم الحجر (١٣) غشتم مطرتم (١٤) الذعر الفزع و(مفراة) بالفاء الموحدة متحيرة مدهوشة من فرى بكسر الراء تحير ودهش و(قف جلده) يبس ويروى قب أى ذوى و (الوله) ذهاب العقل (١٥) نمت بتشديد الميم فشت ومنه النمام وبتخفيفها زادت من النمو (١٦) الشعاب جمع شعبة ماصغر من التلعة والتلعة ما ارتفع من الارض و(الحرمة) الذمه وما يجب حفظه

وانقض(١) اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا الركن واطوفوا ثم ارتقوا أباقبيس فطفق القوم يدفون (٢) حوله ما ان يدرك سعيهم مهلة حتى يحلوا ذروته واستكفوا جنابته (٣) ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب (٤) فقال عبد المطلب اللهم ساد الخلة(٥) وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل (٦) وهذه عبادك واماؤك بعذرات حرمك (٧) يشكون اليك سنتهم التي أذهبت الخف وأفنت الظلف (٨) فاسمع اللهم دعاءنا وأنزل علينا غيثا مريعا مغدقا ودقا (٩) طبقا فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بثجيجه (١٠) فسمعت شيخان قريش وجلتها (١١) يقولون هنيئا يا أبا البطحاء اذ عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك تقول رقيقة بنت أبي صيفي تمدحه عليه الصلاة والسلام

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر(١٢)

و(الحرم) حرم مكة و (الابطحي) هو القرشي من مكة خاصة و(شيبة الحمد) هو عبد المطلب(١) تتامت اجتمعت و(انقض) أسرع(٢) طفق دام و(يدفون) يتداولون (٣) ذروة كل شئ أعلاه و (استكفوا) أحاطوا به ينظرون اليه و(جنابته) ناحيته (٤) أيفع الغلام قارب الاحتلام و (كرب) من أفعال المقاربة والمعنى أوقارب (٥) الخلة الحاجة (٦) غير بخيل (٧) عبادك جمع عبد. ويروى عبداؤك بكسر العين والباء وتشديد الدال أي عبيدك و (بعذرات حرمك) أي بافنائه (٨) الظلف للبقرة والشاة ومثلهما كالقدم للانسان و(الخف) للبعير وأراد ذوات الظلف وذوات الخف (٩) مريعا أي مخصبا و(المغدق الكثير القطر و(الودق) المطر (١٠) راموا برحوا و(كظ) الوادي أي ضاق بالماء لكثرته و (ثجيجه) سيلانه (١١) شيخان جمع شيخ والشيخ من استبانت فيه السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى الثمانين و(جلتها) عظماؤها وسادتها (١٢) الحيا الخصب والمطر و (اجلوذ)

فجاد بالماء جونى له سبل دانٍ فعاش به الانعام والشجر (١)
منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر (٢)
مبارك الامر يستسقى الغمام به مافى الانام له عدل ولا خطر (٣)

وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم استسقاء آخر وكان رضيعا . وذلك أن قريشا أجدبت وحبس عنهم المطر فأمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر المصطفى وهو رضيع فى قماط فلما حضر وضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه الى السماء وتناوله بيديه ثم رماه ثانيا وثالثا وهو يقول يارب بحق هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا مغدقا دائما هاطلا فما انصرفوا حتى جاءهم الغيث وفى ذلك يقول عمه أبو طالب فى قصيدته اللامية

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل (٤)
يطيف به الهلاك من آل هاشم (٥) فهم عنده فى نعمة وفواضل

ويستسقى كل ذى دين من معبوده بالتقرب اليه وسنذكر خبر خولان وتوسلهم لصنمهم عميانس بالذبائح ليسقوا .

ومنهم من يستسقى بالنار وكانوا اذا أرادوا الاستمطار بها جمعوا ماقدروا عليه من البقر وعقدوا فى أذنابها و بين عراقيبها حزما من السلع والعشر (٦) وأوقدوا فيها النار وأصعدوها فى جبل وعر وفرقوا بينها وبين أولادها

مضى وذهب (١) الجون الابيض والاسود وهو من الاضداد و(السبل) المطر (٢) من عليه أنعم و (الميمون طائره) أى السعيد حظه و(مضر) قبيلة من العرب (٣) فى رواية مبارك الكف و(الغمام) سحاب المطر و(الانام) الخلق و(العدل) بالكسر مثل الشئ و(لاخطر) أى لامثل له فى علوه (٤) قدعبر عن الكرم بالبياض . يقال له عندى يد بيضاء أى معروف و (الثمال) العماد والملجأ والمطعم والمغنى والكافى و (العصمة) مايعتصم به ويتمسك (٥) فى رواية يلوذ به الهلاك و(الهلاك) الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلبا لمعروفهم من سوء الحال (٦) السلع بفتحتين و (العشر) بضم ففتح ضربان من الشجر

وساقوا البقر الى ناحيـة المغرب دون سائرا لجهات وهم يصيحون بالتضرع والدعاء لله تعالى ويستسقونه وسط خوار الثيران وتأجج النيران يستجلبون بذلك رحمته وفى ذلك يقول أمية بن أبى الصلت

سـنة أزمة تبرح بالنـا س ترى للعضاه فيها صريرا (١)
لا على كوكب تنوء ولا ريح جنوب ولا ترى طحرورا (٢)
اذ يسـفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا (٣)
ويسوقون باقر السـهل للطو د مهازيل خشية أن تبورا (٤)
عاقدين النيران فى ثـكن الاذ ناب منها لكى تهيـج البحورا
فاشتوت كلهـا فهاج عليهم ثم هاجت الى صبير صبيرا (٥)
فرآها الآله ترسم بالفطـــر وأمسى جنابهم ممطورا (٦)
سـلع ما ومثـله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا (٧

---

(١) أزمة أى شديدة وفى رواية سنة جدبة و (تبرح بالناس) تصيبهم بشدة الاذى و(العضاه) جمع عضاهة وهى أعظم الشجر أو الخمط أو كل ذات شوك و(الصرير) الصوت (٢) نوء النجم سقوطه فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته و(ريح الجنوب) هى التى تخالف الشمال ومهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا ـ ما فى السماء (طحرور) وطحرورة أى لطخ من السحاب (٣) الباء فى بالدقيق زائدة و(الفطير) من العجين ما اختبز ته من ساعته ولم تخمره (٤) الباقر البقر و(الطود) الجبل أو عظيمه و(تبور) تهلك (٥) الصبير السحابة البيضاء أو الكثيفة التى فوق السحابة أو الذى يصير بعضه فوق بعض (٦) رسم الغيث الديار عفاها وأبقى أثرها لاصقا بالارض و(الجناب) الفناء والناحية (٧) قال ابن أبى الحديد « يروى أن عيسى بن عمر قال ما أدرى معنى هذا البيت ، ويقال أن الاصمعى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر و(البيقور) البقر و(عائل) غالب أو مثقل ، ويمكن أن يحمل تفسير الاصمعى

وقال آخر

يا كحل قد أثقلت أذناب البقر بسلع يعقد فيها وعشر
فهل تجودين ببرق ومطر

وهذه النار تسمى نار الاستمطار . وأنكر كثير منهم فائدة الاستمطار بالنار قال الشاعر

شفعنا ببيقور الى هاطل الحيا فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدبا
فعدنا الى رب الحيا فأجادنا وصير جدب الارض من عنده خصبا

وقال آخر

قل لبنى نهشل أصحاب الحور أتطلبون الغيث جهلا بالبقر
وسلع من بعد ذاك وعشر ليس بذا يجلل الارض المطر

وقال الورل الطائى يعيبهم أيضا .

لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر
أجاعل أنت بيقورا مسلمة ذريعة لك بين الله والمطر

قال ابن أبى الحديد « وانما أضرموا النيران فى أذناب البقر تفاؤلا للبرق بالنار . وقال بعض الاذكياء كل أمة قد اتخذوا فى مذاهبها مذاهب ملة أخرى وكانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها فى الارض وأن لها عنده حرمة ، وكانوا يلطخون الابدان بأخثائها ويغسلون الوجوه ببولها ويجعلونها مهور نسائهم ويتبركون بها فى جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب حذوا هذا الحذو وانتهجوا هذا المسلك » وللبقر عند قدماء المصريين أسمى المنازل الدينية وليست هذه العادة من الخرافات فان للدخان أثرا فى الامطار وقد جرب بعض علماء الافرنج بأمريكا انزال المطر بالدخان المتكاثف فنجحت تجربته

على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتاله أى أهلكه وغالتهم غول يعنى المنية »

(النذر)

كانوا فى الجاهلية يوجبون على أنفسهم فعل أشياء أو تركها وذلك هو النذر ويتمدحون بالوفاء به قال عنترة العبسى فى معلقته

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابنى ضمضم
الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين اذا لم ألقهما دمى

وقال زهير

قد أشهد الشارب المعذّل لا معروفه منكر ولاحصر(١)
فى فتية لينى المآزر لا ينسون أحلامهم اذا سكروا
يشوون للضيف والعفاة ويو فون قضاء اذا هم نذروا (٢)

وكانت قديما نذورهم تقربا لله تعالى ثم لما تغيرت الحنيفية بعبادة الاوثان ودخلت فيهم الديانات الوضعية صاروا ينذرون لاصنامهم أو للانتقام أو لغير ذلك من الاغراض المختلفة التى لا يمكن استقصاؤها ولنذكر أمثلة منها

فى صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال يارسول الله انى نذرت فى الجاهلية أن اعتكف ليلة فى المسجد الحرام قال فأوف بنذرك

ومنها ماروى أن الحكم بن عبد يغوث المنقرى نذر ليذبحن مهاة على الغبغب (٣) وكان من أرمى الناس فرام صيدها أياما فلم يمكنه فكان يرجع مخفقا حتى هم بقتل نفسه مكانها فقال له ابنه مطعم احملنى أرفدك فقال ما احمل من رعش رهل (٤) جبان فشل فمازال به حتى حمله فرمى الحكم مهاتين فاخطأهما فلما عرضت الثالثة رماها مطعم فاصابها فقال الحكم (رب رمية من غير رام)

---

(١) المعذل كمعظم من يعذل لافراط جوده و (الحصر) البخل والعى فى المنطق
(٢) العافى الضيف وكل طالب فضل أو رزق (٣) المهاة البقرة الوحشية (والغبغب) منحر العزى كانوا ينحرون فيه هداياها (٤) الارفاد الاعانه و (رهل) لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم من غير داء

فضربت مثلا فى فلتة احسان من المسئ

ومنها أن الغوث بن مر بن أد بن طابخة كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيطا للكعبة فلما عاش لها الغوث وفت بنذرها فسمى صوفة وكان له ولولده الاجازة بالحج من عرفة ومن منى لمكانه من الكعبة .

ومن ذلك نذر تهود الاولاد قال السهيلى « اليهود بنو اسرائيل وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن فى الاوس والخزرج من قد تهود وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها ان تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب وفى هؤلاء الابناء الذين تهودوا نزلت (لا اكراه فى الدين) حين أراد آباؤهم اكراههم على الاسلام فى أحد الاقوال »

ومن ذلك ماروى ان عاصم بن ثابت بن ابى الاقلح قتل فى غزوة احد من المشركين مسافع بن طلحة واخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يصيبه بسهم فيأتى امه سلافة فتضع رأسه فى حجرها وتقول يابنى من أصابك . فيقول سمعت رجلا يقول حين رمانى خذها وأنا ابن أبى الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر

ومنها ما روى ان ابا سفيان لما رجع من مكة ورجع منهزمو قريش من بدر نذر الا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا

ومنها ما كان من عبد المطلب بن هاشم فانه حين لقى من قريش مالقى عند حفر زمزم نذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبه فلما بلغ بنوه عشرة وعرف انهم مانعوه جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فأطاعوه . فجعل لكل قدحا وكتب عليه اسمه وضرب القداح ساد نهبل عنده فخرج قدح عبدالله فهم بذبحه فقامت قريش وقالوا لا تذبحه ابدا حتى نعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا وأشاروا اليه أن يذهب لعرافة سموها له ليستفتيها فيما

نزل به فلما نزل عبد المطلب بساحتها وتص عليها أمره أمرته أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الابل فان خرج قدح عبد الله زاد الابل عشرا وضرب ولا يزال يفعل ذلك حتى يخرج القدح على الابل فعاد الى مكة وضرب القداح وما زال يزيد الابل حتى بلغت مائة فخرج القدح عليها فذبحوها وعبد الله هو والد نبينا المراد بقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الذبيحين وثانيهما اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام

ومن نذورهم السائبة ان أحدهم كان اذا نزل به المكروه ينذر ان رفع عنه ان يسيب ناقته . فاذا فعل ذلك لم تمنع من الماء ولا من الكلأ . وقد يسيبون غير الناقة — وكانوا اذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولاء

ومن نذورهم ما كان من لبيد بن ربيعة بن عامر وكان شريفا فى الجاهلية والاسلام فقد نذر فى الجاهلية الا تهب الصبا الا نحر وأطعم . وهبت الصبا يوما وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبى معيط وكان أميرا عليها لعثمان فخطب الناس فقال ان أخاكم لبيدا كان آلى على نفسه فى الجاهلية ألا تهب الصبا الا أطعم وألزم نفسه ذلك فى الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث اليه بمائة بكرة . وبعث الناس اليه فقضى نذره وكتب اليه الوليد

أرى الجزار يشحذ شفرتيه ... اذا هبت رياح أبى عقيل
أغر الوجه أبيض عامرى ... طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بحلفتيه ... على العلات والمال القليل (١)
بنحر الكوم اذ سحبت عليه ... ذيول صبا تجاوب بالاصيل (٢)

فلما أتاه الشعر قال لابنته أجيبيه فقد أرانى ولا أعيا بجواب شاعر فانشأت تقول

اذا هبت رياح أبى عقيل ... دعونا عند هبتها الوليدا
أغر الوجه أبيض عبشمياً ... أعان على مروءته لبيدا

---

(١) على علاته أى على كل حال (٢) الكوم القطعة من الابل

بأمثال الهضاب كان ركبا عليها من بنى حام قعودا (١)
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الوليدا
فمد ان الكريم له معاد وظنى يا ابن أروى أن تعودا

فقال أحسنت لولا انك استزدته فقالت انه ملك ولو كان بسوقة لم أفعل

ذبح الظبى فى نذر الشاة — كان أحدهم يقول عند المكروه يصيبه ان

خلصت منه لاذبحن من الغنم كذا وكذا ثم اذا كشف الله عنه ما يكره ضن بما نذر لان من ألبانها غذاؤه وكره عدم الوفا. فاستبقى الغنم وذبح من الظباء التى يصيدها بعدد ما نذر من الغنم . وقال الظباء شاء كما أن الغنم شاء فيجعل ذلك القربان شاء كله مما يصيد من الظباء . قال الحارث بن حلزة

عنتابا طلا وظلما كما تع ترعن حجرة الربيض الظباء (٢)
أعلينا جناح كندة أن يغنم غازيهم ومنا الجزاء

واصل العتر الذبح فى رجب وكانت العرب تنذره لآلهتها فيقول قائلهم . ان رزقنى الله خمسين شاة ذبحت منها فى رجب واحدة مثلا ويسمى هذ الذبح العتيرة والرجبية ـ ومعنى البيتين انكم الزمتمونا ذنب غيرنا عنتا باطلا كما يذبح الظبى لحق وجب فى الغنم وقال الرماح فى تلك العتائر

كان الغوى الفرد أجسد رأسه عتائر مظلوم الهدى المذبح (٣)

وقال كعب بن زهير فى رثاء جوى المزنى وهى من أبيات الحماسة

لنذرك والنذور لها وفاء اذا بلغ الخزاية بالغوها

---

(١) الهضاب والهضب جمع الهضبة وهى الجبل و(حام) هو ابن نوح أبو السودان (٢) العنت الفساد (وتعتر) تذبح (والحجرة) بالفتح الناحية والمراد بها هنا موضع الغنم و (الربيض) الغنم برعاتها المجتمعة فى مرابضها

(٣) الغوى الضال ولعله يريد به الصنم و (الجسد) الدم اليابس والزعفران واذا قام الثوب من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان و (العتائر) الذبائح واضافة الذبائح لمظلوم اضافة بيانية . والهدى المذبح المظلوم هو الظباء المذبوحة بدل الشياه

كانك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها (١)
فما عتر الظباء بحى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها

والمعنى اننا وفينا ولم نقنع فى أخذ ثأرك بشئ يغنى عما نذرته كما تذبح الظباء بدل الغنم

وكان سبب هذه الابيات أن جويا المزنى مر على الاوس والخزرج وهم يقتتلون والاوس حلفاء مزينة فقاتل جوى مع حلفائه فأصيب فمر به ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسان الشاعر فقال : اخا مزينة ما طرحك هـذا المطرح فوالله انك من قوم ما يحمونك فرفع جوى رأسه اليـه وهو يجود بنفسه فقال : اعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا أعرج وبلغت كلمتـه قومه فوفوا له بما قال ـ فلذلك يقول الرماح : ولا الخمسون قصر طالبوها ومن هذا الباب قولهم فى المثل (أفرع بالظبى وفى المعزى دَثَر) الباء فى بالظبى زائدة أى ذبح الظبى وفى المعزى كثرة ـ يضرب مثلا لمن له اخوان كثيرون وهو يستعين بغيرهم

(ما يفعلونه للموتى)

نذكر فى هذا الفصل عاداتهم التى منشؤها الشرائع السماوية كتحنيط الميت وتكفينه وغسله والمبالغة فيه بوضعهم فى ماء الغسل سدرا ونحوه ثم نتبع ذلك تتميما للموضوع بما كان منشؤه المعتقدات الوهمية كوضع البلية على القبر يركبها الميت يوم البعث وبما كان منشؤه الفخر والزهو كاتخاذ حرم للقبر وتعلية بنائه وغير ذلك

نعى الموتى — قال الاصمعى كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلانا أى انعه وأظهر خبر وفاته وهذا هو الناعى المراد بقول المتنخل الهذلى

---

(١) بزت الثياب سلبت

أقول لما أتانى الناعيان به لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل (١)
رمح لنا كان لم يفلل ننوء به توفى به الحرب والعزاء والجلل (٢)

وقول أعشى باهلة يرثى أخاه لامه المنتشر

انى أتتنى لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر (٣)
فظلت مكتئباً حرّان أندبه وكنت ذا حذر لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر (٤)
يأتى على الناس لا يلوى على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر (٥)
ان الذى جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النهى والغير
ينعى امرأ لا تغبّ الحى جفنته اذا الكواكب اخطأ نوءها المطر (٦)

والغرض من اتخاذ الناعى الاعلام لينهض الناس بالواجب عليهم نحو هذه المصيبة ولتعزية أهل الميت

---

(١) يبعد بمعنى يهلك و (الرمح) فاعل يبعد و (النصل) حديدة الرمح الذى يطعن به وهو السنان (٢) (رمح لنا) أى هو رمح لنا وضمير كان يرجع الي المرثى وجملة (لم يفلل) خبر كان أى لم يكسر ولم يثلم من الفل بفتح الفاء واحد الفلول وهى كسور فى الشئ و (ننوء به) أى ننهض به يقال ناء بكذا أى نهض به مثقلا و (توفى به الحرب) أى تعلى به وتقهر وهو بالفاء وروى بالقاف أيضا من الوقاية و (العزاء) بفتح العين وتشديد الزاء المعجمة السنة الشديدة و (الجلل) بضم الجيم وفتح اللام جمع جلى وهو الامر الجليل العظيم مثل كبرى وكبر وصغرى وصغر (٣) اللسان الرسالة وأراد بها نعى المنتشر و (سُخْر) بضمتين ـ والمعنى أتانى خبر من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة (٤) جاشت النفس ارتفعت من حزن أو فزع (٥) لا يلوى على أحد أى لا يعرج (٦) النعى خبر الموت و (أغبت) القوم جفنته جاءتهم يوما وتركت يوما كغب و (النوء) سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق ـ والعرب كانت تنسب نزول المطر للنوء فتقول مطرنا بنوء كذا

غسل الميت — كانوا يغسلون موتاهم فى الجاهلية . قال الافوه الاودى

ألا عللانى واعلما اننى غرر فما قلت ينجينى الشقاق ولا الحذر (١)
وما قلت يجدينى ثوابى اذا بدت مفاصل أوصالى وقد شخص البصر (٢)
وجاءوا بماء بارد يغسلوننى فيالك من غسل سيتبعه غبر

وفى الاغانى أن أبا لهب لما مات بالعدسة تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا لا يدفنانه حتى أنتن فى بيته . وكانت قريش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون تخشى عدواها حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما ألا تستحيان ان أباكما قد أنتن فى بيته لا تغيبانه . فقالا نخشى هذه القرحة قال : فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه الا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة

وكانوا يضعون فى ماء الغسل ما يساعد على النظافة من سدر أو اشنان . ويغسلون بالسدر ونحوه رءوسهم ولحاهم وشاهده قول امرئ القيس لما أخذت بنو ثعلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار فقدم بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الاملاك فى ديار بنى مرين

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تغسل رءوسهم بسدر ولكن فى الدماء مزملينا (٣)

وقد أقرهم الاسلام على ما كان عندهم من ذلك

تحنيط الميت كانوا بعد غسل الميت يحنطونه والحنوط كصبور وكتاب عطر مركب من أشياء طيبة الرائحة يخلط للميت

وذكروا أن منشما كانت امرأة تبيع الحنوط فى الجاهلية . فقيل للقوم

---

(١) الغرر بالنفس التعريض للخطر — مصدر يراد به اسم المفعول

(٢) والاوصال المفاصل أو مجتمع العظام (وشخص بصره) فتح عينيه وجعل لا يطرف (٣) السدر ورق النبق وفى رواية ولم تغسل جماجمهم بغسل و(تزمل) تلفف

اذا تحاربوا دقوا بينهم عطر منشم أرادوا بذلك طيب الموتى . وروى ان أول من طيب الموتى بالحنوط مقسم بن بهر القضاعى

كفن الميت كانوا يكفنون الميت (١) وشاهده قول قس بن ساعدة الايادى .

يابا كى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق(٢)
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نومانه الصعق

وقال عنترة العبسى

وأحمى حمى قومى على طول مدتى الى أن أرانى فى اللفائف أدرج (٣)

وقال حجية بن المضرب يخاطب النعمان بن المنذر

ان كان ما بلّغت عنى فلامنى صديقى وشلّت من يدى الانامل
وكفنت وحدى منذرا فى ردائه وصادف حوطاً من أعادىّ قاتل(٤)

وسبب هذين البيتين أن النعمان بن المنذر أغار على بنى تميم فنذروا به ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب . وكان فيمن كان معه حجية بن المضرب وكانت أخته فكيهة بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة . فنذر بنو تميم بالنعمان فهزموه . (٥) فاتهم النعمان حجية أن يكون أنذرهم فقال البيتين

وكانوا يكفنون الميت فى ثوب ثمين النسيج اذا كان عظيما . وشاهده ما يروى أن دريد بن حرملة لما قتل معاوية بن عمرو الشريد قدم أخوه صخر فأتى بنى مرة . فقال : من قتل أخى . فقال له هاشم بن حرملة . اذا أصبتنى أو دريدا فقد أصبت ثارك . قال فهل كفنتموه . قالوا : نعم فى بردين

---

(١) الكفن لباس الميت (٢) الجدث القبر و (البز) الثياب (٣) اللفافة ما يلف به على الرجل وغيرها جمعه لفائف يراد بها هنا الكفن

(٤) قوله وكفنت وحدى منذرا : أى أكون غريبا لا أجد معينا وقوله فى ردائه أى لا أجد كفنا يليق به و(المنذر) أخو حجية الشاعر و(حوط) ابنه وبه يكنى (٥) نذر بالشىء كفرح علمه فحذره و(انذره بالامر) أعلمه وحذره وخوفه فى ابلاغه

أحدهما بخمس وعشرين بكرة . قال : فأروني قبره . فأروه اياه . فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال ؟ كانكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعي . فوالله ما بت مذعقلت الا واترا أو موتورا أو طالبا أو مطلوباحتى قتل معاويةفما ذقت طعم نوم بعده . وقال مهلهل بن ربيعة من رثاء أخيه كليب

فابكين سيد قومه واندبنه شدت عليه قباطي الاكفان (١)

وقد جاء ذكر الحنوط وترجيل الشعر والكفن فى شعر يزيد بن حذاق قال ابن قتيبة انه أول من بكى على نفسه وذكر الموت فى شعره حيث قال

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلوني وما بالشعر من شعث والبسوني ثيابا غير أخلاق
وطيبوني وقالوا أيما رجل وأدرجوني كاني طي مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا فى ضريح القبر أطباقى
وقسموا المال وأرفضت عوائدهم وقال قائلهم مات ابن حذاق
هون عليك ولا تولع باشفاق فانما مالنا للوارث الباقى

وجاء الشرع الاسلامى فأقر تحنيط الميت وتكفينه . وكره تسريح شعره الصلاة على الميت — كانوا يصلون على موتاهم وصلاتهم اذا مات الرجل وحمل على سريره ان يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثنى عليه . قال رجل من كلب فى الجاهلية لابن ابن له

اعمرو ان هلكت وكنت حياً فانى مكثر لك من صلاتى

قيل وأول من صلى فى الجاهلية على الميت عطيرة بن صعب السكسكى . ومن بليغ ما ورد من ذلك فى الاسلام ما ذكره الحرمازى وغيره من ان الاحنف بن قيس لما مات بالكوفة أيام خرج مع مصعب بن الزبير الى قتال المختار فلما دفن قامت امرأة على قبره من بنى منقر فقالت : لله درك من مجن فى جنن ومدرج فى كفن فنسأل الذى فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك

(١) القبطية بالضم وقد تكسر ثياب من كتان تنسج بمصر منسوبة الى القبط على غير القياس كالدهرى جمعه قباطى بالتشديد وقباطى بالتخفيف

أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وان يوسع لك فى قبرك ويغفر لك يوم حشرك . ثم اقبلت بوجهها على الناس فقالت ، معشر الناس أن أولياء الله فى بلاده شهود على عباده وانا قائلون حقا ومثنون صدقا . وهو أهل لحسن الثناء وطيب الدعاء . ثم اقبلت على القبر فقالت : اما والذى كنت من أجله فى عدّة ومن الضمان الى غاية ومن الحياة الى نهاية الذى رفع عملك عند انقضاء أجلك لقد عشت حميدا مودودا ولقد مت فقيدا سعيدا وان كنت لعظيم السلم فاضل الحلم وان كنت من الرجال لشريفا وعلى الارامل عطوفا وفى العشيرة مسودا والى الخلفاء موفدا . ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين . فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها

سرير الميت — كانوا يحملون الميت اما على الحَرَج وهو خشب يشد بعضه الى بعض قال امرؤ القيس

فاما تريني فى رحالة جابر على حَرَج كالقر تخفق أكفانى (١)

وأما على النعش وهو سرير الميت وقيل النعش للمرأة والسرير للرجل ذكر ذلك ابن سيدة فى المخصص . وعلى اختصاص المرأة بالنعش فأول امراة حملت فى نعش زينب بنت جحش زوج النبى عليه السلام كما حكاه القلقشندى فى صبح الاعشى لكن جاء فى كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى مايقتضى ان أول امرأة حملت فى نعش هى فاطمة بنت رسول الله وذلك انها بعد وفاة أبيها كمدت سبعين بين يوم وليلة . فقالت : لاسماء بنت عميس انى لاستحيى من جلالة جسمى اذا أخرجت على الرجال غدا وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء وقيل قالت يا أسماء انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح على المرأة الثوب فيصفها . قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة :

---

(١) الرحالة هنا خشبة كان يحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضا . وجابر من بنى ثعلب وكان هو وعمرو بن قميئة يحملانه و(الحرج) خشب يحمل فيه الموتى و(القر) مركب من مراكب النساء كالهودج

ماأحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل. فاذا أنا مت فاغسلينى أنت وعلى ولا تدخلى على أحدا فلما توفيت جاءت عائشة تدخل . فقالت أسماء لاتدخلى فشكت الى أبى بكر قالت : ان هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فجاء أبو بكر فوقف على الباب . فقال يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس. فقالت أمرتنى الا يدخل عليها أحد وأريتها هذا الذى صنعت وهى حية فأمرتنى أن أصنع ذلك لها . قال أبو بكر : فاصنعى ما أمرتك ثم انصرف وغسلها على وأسماء (١) رضى الله عنهما وروى أن فاطمة لما أريتها اسماء النعش تبسمت وما رؤيت متبسمة بعد موت النبى عليه السلام الا يومئذ واتخذ النعش بعد ذلك سنة

قال ابن عبد البر (فاطمة أول من غطى نعشها من النساء فى الاسلام على الصفة المذكورة فى الخبر المتقدم ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك) وعلى ذلك فأولية زينب بنت جحش التى حكاها القلقشندى انما هى بالنسبة لمن عدا فاطمة .

تشييع الجنازة — فاذا وضعوا الميت على سريره حملوه وساروا به الى القبر . قال حاتم الطائى

فاصدق حديثك ان المرء يتبعه ما كان يبنى اذا مانعشه حملا
وقالت الخنساء ترثى صخرا
وقائلة والنفس قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسى على صخر
الا ثكلت أم الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وكانت تحمل النيران فى تشييع الجنازة وتتبعها النوائح وقد نهى الاسلام

(١) منعت الحنفية الزوج من تغسيل زوجته ومسها لا من النظر اليها وأجازته الائمة الثلاثة وحجتهم غسل على لفاطمة واحتج الحنفية بقوله عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع بالموت الا سببى ونسبى مع أن بعض الصحابة أنكر على على ذلك

عن ذلك لانه من شعار الجاهلية وقال عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة من حديث له رواه مسلم فى صحيحه فاذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فاذا دفنتمونى فسنوا علىّ التراب سنا (١) ثم أقيموا حولى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربى

قولهم للجنازة ـ كانوا يقومون للجنازة ويقولون كنت فى أهلك ما أنت مرتين . وشاهده ماروواه البخارى فى صحيحه بسنده قال أخبرنى عمرو أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه أن القاسم كان يمشى بين يدى الجنازة ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة انها قالت كان أهلك فى الجاهلية يقومون لها ويقولون اذا رأوها كنت فى أهلك ما انت مرتين

قال ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى . أى يقولون ذلك مرتين وما موصولة وبعض الصلة محذوف . والتقدير كنت فى أهلك الذى كنت فيه . أى الذى أنت فيه الآن كنت فى الحياة مثله لانهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون أن الروح اذا خرجت تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس . ويحتمل أن يكون قولهم هذا دعاء للميت ويحتمل أن تكون ما نافية ولفظ مرتين من تمام الكلام أى لا تكونى فى أهلك مرتين المرة الواحدة التى كنت فيهم انقضت وليست بعائدة اليهم مرة أخرى . ويحتمل أن تكون ما استفهامية أى كنت فى أهلك شريفة فأى شئ أنت الآن يقولون ذلك حزنا وتأسفا عليه

مقابرهم ـ كانوا يحفرون لموتاهم قبورا أو لحودا (١) يدفنونهم بها قال عنترة العبسى

بالله ما بال الاحبة أعرضت ... عنا وراحت بالفراق صدودها

رضيت مصاحبة البلى واستوطنت ... بعد البيوت قبورها ولحودها

وقال حاتم الطائى

---

(١) سن التراب صبه فى سهولة (٢) القبر مدفن الانسان و(اللحود) جمع اللحد بالفتح والضم وهو الشق يكون فى عرض القبر .

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
اذا أنا دلانى الذين أحبهم بملحودة زلخ جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم يقولون قد دمى أناملنا الحفر

ومن القبور ما يبنى ومنه ما يجعل فوقه كومة من التراب وتوضع فوقها الحجارة لتدل على مكان القبر قال طرفة بن العبد

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد(١)
ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد(٢)

وقال لبيد بن ربيعة العامرى

وهل هو الا ما ابتنى فى حياته اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا

وقال دريد بن الصمة يرثى معاوية أخا الخنساء لما قتلته بنو مرة

رأيت مكانه فعطفت زورا وأين مكان زور يا ابن بكر
الى ارم وأحجار وصير وأغصان من السلمات سمر(٣)

وبنيان القبور أتى عليها طوال الدهر من سنة وشهر

وقال البرج بن مسهر الطائى

نطوف ما نطوف ثم يأوى ذوو الاموال منا والعديم
الى حفر أسافلهن جوف وأعلاهن صفاح مقيم (٤)

وقالت الخنساء من قصيدة ترثى بها صخرا

فى جوف رمس مقيم قد تضمنه فى رسمه مقمطرات وأحجار (٥)

---

(١) النحام البخيل و (الغوى) الضال والبطالة ضد العمل (٢) جثوتين تثنية جثوة بالتثليث وهى الكومة من التراب وغيره و (صفائح) جمع صفيحة وهى حجارة عراض رقاق و (منضد) مجعول بعضه فوق بعض

(٣) الارم كعنب العلم و (الصير) واحده صيرة وهى حظيرة الغنم .

(٤) الجوف المطمئن من الارض و (الصفاح) حجارة عراض رقاق

(٥) قال أبو عمرو مقمطرات صخور عظام وأحجار صغار

وقال حفص بن الاحنف الكنانى (١)

نفرت قلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب (٢)
لا تنفرى يا ناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٣)

واذا كان للميت منزلة وشرف بنوا على قبره قبة أو بيتا أو بناء مشرفا كأطم من الآطام مباهاة وفخراً وتعاظما وزهواً فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وقال عدى بن ربيعة المعروف بالمهلهل التغلبى من قصيدة فى رثاء كليب أخيه وكانت على قبره قبة رفيعة

سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار
فسرت اليه من بلدى حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار
وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار

ومن ذلك ما رواه الاصبهانى فى الاغانى عن الاصمعى وأبى عبيدة ان رجلا من غنى . يقال له قيس الندامى وفد على بعض الملوك . وكان قيس سيدا جوادا فلما حفل المجلس . أقبل الملك على من حضره من وفود العرب . وقال لاضعن تاجى على أكرم رجل من العرب فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما شاء ونادمه مدة ثم أذن له فى الانصراف الى بلده فلما قرب من بلاد طئ خرجوا اليه وهم لا يعرفونه فقتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لاياد له كانت فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتا — وقد بنى المنذر الاكبر الغريان وهما منارتان على قبرى عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الاسديين . وسنذكر خبرهما عند الكلام على العقر — واذا كان الميت من النصارى وضعوا جثته فى صندوق يسمى التابوت ويسمى الارن أيضاً .

---

(١) فى الاغانى ان هذا الشعر ينسب لحسان بن ثابت وقيل أيضا انه لضرار بن الخطاب الفهرى . وذكر ان محمد بن سلام قال الصحيح انها لعمرو ابن شقيق أحد بنى فهر بن مالك . قال ومن الناس من يرويها لكرز بن حفص ابن الاحنف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها (٢) الحرة بفتح الحاء أرض ذات حجارة نخرة سود (٣) المسعر الذى كانه آلة فى ايقاد الحروب

حمى القبر — من عادتهم أن يجعلوا لقبر الشريف حمى لا ينتهك حكى أبو عبيدة عن الحرمازى قال لما مات عامر بن الطفيل نصبت عليه بنو عامر أنصابا ميلا فى ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش وكان جبار (١) بن سلمى غائبا فلما قدم . مر بقبره فقال ماهذه الانصاب . قالوا نصبناها على قبر عامر . فقال ضيقتم على أبى على وأفضلتم منه فضلا كثيرا ثم وقف على قبره وقال : أنعم صباحا أبا على . فوالله لقد كنت تشن الغارة وتحمى الجارة سريعا الى المولى بوعدك بطيئا عنه بايعادك وكنت لا تضل حتى يضل النجم ولا تعطش حتى يعطش البعير ولا تجبن حتى يجبن السيل . وكنت والله خير ما كنت تكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا .

وعامر بن الطفيل هذا كان سيداً شريفاً ينادى بسوق عكاظ ويقول : هل من راجل فاحمله أو جائع فأطعمه أو خائف فأؤمنه وقد أدرك الاسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وسادة ثم قال أسلم ياعامر . قال : على ان لى الوبر ولك المدر . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام عامر مغضبا فولى وقال . لاملانها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولاربطن بكل نخلة فرساً . فقال النبى عليه الصلاة والسلام : اللهم اهد بنى عامر واشغل عنى عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت وانى شئت فخرج عامر فأخذته غدة مثل غدة البكر فآوى الى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يثب وينزو فى السماء ويقول : ياموت ابرز لى . غدة مثل غدة البعير وموت فى بيت سلولية

نضح القبر بالخمر — كانوا ينضحون قبر العزيز عندهم بالخمر قال نصر بن غالب

أصب على قبريكما من مدامة فلا تذوقاها تروثراكما

وقال حاتم يوصى امرأته بنضح الخمر على قبره

---

(١) كذا فى الكامل للمبرد وفى مجمع الامثال انه حبان بالحاء المهملة آخره نون ابن سلمى بن عامر بن مالك

أماوى امامت فاسعى بنطفة من الخمر ريا فانضحن بها قبرى

السقيا للقبر — وكانت العرب تحب نزول المطر على القبور وقد طلبت لها السقيا قال النابغة الذبيانى من قصيدة يرثى بها النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى

سقى الغيث قبرا بين بصرى وجاسم بغيث من الوسمى قطر ووابل (١)

ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاه ديمة ثم هاطل (٢)

وينبت حوذانا وعرفا منورا سأتبعه من خير ما قال قائل (٣)

وقد أوصى المتلمس بذلك فى قوله من قصيدة يرثى بها نفسه

خليلى امامت يوما وزحزحت منايا كما فيما يزحزحه الدهر

فمرا على قبرى فقوما فسلما وقولا سقاك الغيث والقطر يا قبر

وقال مهلهل من قصيدة فى رثاء أخيه كليب

أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار

سقاك الغيث انك كنت غيثا ويسرا حين يلتمس اليسار

والاشعار فى هذا المعنى كثيرة مستفيضة

وقد اختلف فى سبب استسقائهم لها فقال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسى تدعو العرب للقبور بالسقيا ليكثر الخصب حولها فيقصد كل من مر بها دعاء لها بالرحمة

وقال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول عكرشة العبسى من رثاء بنيه

سقى الله أجداثا ورائى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر

---

(١) بصرى وجاسم موضعان بالشام و (الوسمى) أول المطر لانه يسم الارض بالنبات (٢) وروى ابن الاعرابى : ريحان ومسك يثيره على منتواه . و (يثيره) أى يهيج رائحته ويذكيه و (منتواه) موضع تباعده عن الاحياء . ومن روى منتهاه أراد قبره لانه الموضع الذى ينتهى اليه سعى الانسان (٣) الحوذان والعرف نباتان الا أن الحوذان اطيب رائحة . وقوله (سأتبعه من خير ما قال قائل) أى سأثنى عليه بأحسن القول

مضوا لايريدون ارواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر
ولو يستطيعون الرواح تروحوا معي وغدوا فى المصبحين على ظهر(١)
لعمرى لقد وارت وضمت قبورهم أكفاً شداد القبض بالاسل السمر

والقصد من طلب السقيا لها أن تبقى عهودها غضة من الدروس طرية لا يتسلط عليها ما يزيل جدتها ونضارتها ألا ترى انه لما أراد الشاعر ضد ذلك قال :

فلا سقاهن الا النار تضطرم * وقال السهيلى عند قول كعب بن مالك فى رثاء من قتل من الشهداء يوم موتة

صلى الأله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

(وقوله وسقى عظامهم الغمام المسبل يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور أحبتها لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة فى البلاد . وقال قاسم بن ثابت فى الدلائل فلهذا كعب يستسقى لعظام الشهداء بموتة وليس معهم وكذلك قول الآخر

سقى مطفيات المحل جودا وديمة عظام ابن ليلى حيث كان رميمها

فقوله حيث كان رميمها يدل على أنه ليس مقيما معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور استرحام لهم لان السقيا رحمة وضدها عذاب)

وكانت العرب تزعم أن المطر يسقى قبر أحد بنى عبد القيس ونسله حكى ابن عبد ربه فى كتاب النسب من العقد الفريد أن رباب بن زيد بن عمرو بن جابر بن ضبيب كان ممن وحد الله فى الجاهلية وسأل عنه النبى وفد عبد القيس . وكان يسقى قبر كل من مات من ولده . وفى ذلك يقول الحجين بن عبد الله

ومنا الذى بالبعث يعرف نسله اذا مات منهم ميت جيد بالقطر
رباب وأنى للبرية كلها بمثل رباب حين يخطر بالسمر

وفى المعارف لابن قتيبة(أرباب بن رئاب (٢) هو من عبد القيس من شن . وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى

(١) أى لغدوا فى صباح اليوم التالى على ظهر الارض ولم يصيروا فى بطنها مع الاموات (٢) فى السيرة الحلبية نقلا عن ابن قتيبة أن اسمه رباب بن البراء

خير أهل الارض ثلاثة رئاب الشنى وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد يريد النبي صلى الله عليه وسلم وكان لايموت أحد من ولد أرباب فيدفن الا رأوا طشا على قبره) والطش المطر الضعيف

العقر على القبر ونضحه بالدماء — كانوا يعقرون(١) على قبر العظيم أو السيد الشريف الخيل او النوق وينضحون القبر بدمائها . وقد ذكر سبب عقرهم الابل ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد فقال « واختلف فى سبب عقرهم الابل على القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقر من الابل فى حياته وينحره للاضياف واحتجوا بقول زياد الاعجم

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخا دم وذبائح

وقد قال قوم انما كانوا يفعلون ذلك اعظاما للميت كما كانوا يذبحون للاصنام وقيل انما كانوا يفعلونه لان الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكأنهم يثأرون لهم منها . وقيل ان الابل أنفس أموالهم فكأنهم يريدون بذلك انها قد هانت عليهم لعظم المصيبة » نقل ذلك عنه البغدادى فى خزانة الادب . والشواهد على عقر الابل والخيل كثيرة من ذلك ما حكاه المبرد فى الكامل أن رجلا عربياً وقف على قبر النجاشى فترحم . وقال : لولا أن القول لايحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لاطنبت بل لاسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشى ناقتى بابيض عضب أخلصته صياقله
على قبر من لو انني مت قبله لهانت عليه عند قبرى رواحله

وقال حريبة بن الاشيم الفقعسى يوصى ابنه بأن يعقر على قبره

اذا مت فادفنى بجداء مابها سوى الاصرخين أو يفوز راكب
فان انت لم تعقر علىّ مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حالب(٢)
ولا تدفنني فى صوى وادفنني بديمومة تنزو عليها الجنادب (٣)

(١) عقر البعير بالسيف عقرا من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق العقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح (٢) يدعو عليه بفقد مايحلب من الشاء والابل اذا لم يعقر مطيته (٣) الصوى جمع صوّة بضم

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « وقد ذكرت في مجموعي المسمى بالعبقري الحسان ان أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الابيات واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية وقلت انه وهم في ذلك وانه ليس في هذه الابيات دلالة على هذا المعنى ولا لهابه تعلق وانما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته اما لكي لا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور . ثم قال ومذهبهم في العقر على القبور مشهور وليس في هذا الشعر مايدل على مذهبهم في البلية فان ظن ظان ان قوله أو يفوز راكب فيه ايماء الى ذلك فليس الامر كما ظنه ومعنى البيت ادفني بفلاة جداء مقطوعة عن الانس ليس بها الا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة سموها مفازة على طريق التفأل وقيل انها تسمى مفازة من فوز أي هلك فليس في البيت ذكر البلية ولكن الخالع اخطأ في ايراده في هذا الباب كما اخطأ في هذا الباب أيضا في ايراده قول مالك بن الريب

وعطل قلوصي في الركاب فانها ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا

فظن أن ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ولم يرد الشاعر ذلك وانما أراد لا تركبوا راحلتي بعدي وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادي وأصادقي ذاهبة جائية تحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق

ومن العقر على القبور ما ذكره أبو علي القالي في الامالي قال لما مات عمرو ابن حممة الدوسي وكان أحد من يتحاكم اليه العرب مر بقبره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم ابن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعتيك بن قيس بن هيشة ابن أمية بن معاوية وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كانت بسببه حرب حاطب فعقروا رواحلهم على قبره وقام الهدم فقال

الصاد وهو ما غلظ وارتفع من الارض و (الديمومة) الفلاة الواسعة و(نزو) تثب و(الجندب) الجراد جمعه جنادب

لقد ضمت الاثراء منك مرزأ ... عظيم رماد النار مشترك القدر(١)
حليم اذا ما الحلم كان حزامة ... وقورا اذا كان الوقوف على الجمر(٢)
اذا قلت لم تترك مقالا لقائل ... وان صلت كنت الليث يحمى حمى الاجر
ليبكك من كانت حياتك عزه ... فأصبح لما بنت يغضى على الصغر(٣)
سقى الارض ذات الطول والعرض مثجم ... أحم الرحى واهى العرا دائم القطر(٤)
وما بى سقيا الارض لكن تربة ... أضلك فى أحشائها ملحد القبر

وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم العلا والجود والمجد والندى ... طواك الردى ياخير حاف وناعل
لقد غال صرف الدهر منك مرزأ ... نهوضا بأعباء الامور الاثاقل
يضم العفاة الطارقين فناؤه ... كما ضم أم الرأس شعب القبائل(٥)
ويسرو دجى الهيجا مضاء عزيمة ... كما كشف الصبح أطراق الغياطل(٦)
ويستهزم الجيش العرمرم باسمه ... وان كان جرارا كثير الصواهل
وينقاد ذو البأو الابىّ لحكمه ... فيرتد قسراً وهو جم الدغاول(٧)
ويمضى اذا ما الحرب مد رواقه ... على الروع وارفضت صدور العوامل(٨)
فأما تصبنا الحادثات بنكبة ... رمتك بها احدى الدواهى الضآبل(٩)

---

(١) الاثراء جمع الثرى وهو التراب الندى و (الرزيئة) المصيبة كالرزء (٢) الحزامة والحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة (٣) الصغر خلاف العظم (٤) مثجم أى سحاب سريع المطر مديمه و (الاحم) الاسود من كل شئ و(الرحى) وسط الغيم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها (٥) العافى الرائد والوارد والضيف وكل طالب فضل أو رزق و (قبائل الرأس) واحده قبيلة للقطع المشعوب بعضها الى بعض (٦) يسرو يكشف و (الدجي) الظلمة و(الهيجا) الحرب و (اطراق) اطرق الليل ركب بعضه فوق بعض و(الغيطلة) الظلمة أو اختلاط الاصوات وقال ابن الاعرابى هى التفاف الناس واجتماعهم (٧) البأو الفخر و (الدغاول) الدواهى (٨) الروع الفزع و (ارفضت) سالت و(عامل) الرمح وعاملته صدره (٩) الضآبل الدواهى واحدها ضئبل

فلا تبعدن ان الحتوف موارد ... وكل فتى من صرفها غير وائل (١)

وقام حاطب بن قيس فقال :

سلام على القبر الذى ضم أعظما ... تحوم المعالى حوله فتسلم
سلام عليه كلما ذر شارق ... وما امتد قطع من دجى الليل مظلم (٢)
فيا قبر عمرو جاد أرضا تعطفت ... عليك ملث دائم القطر مرزم (٣)
تضمنت جسما طاب حياً وميتاً ... فأنت بما ضمنت فى الارض معلم
فلو نطقت أرض لقال ترابها ... الى قبر عمرو الازد حل التكرم
الى مرمس قد حل بين ترابه ... وأحجاره بدر وأضبط ضيغم (٤)
فلو وألت من سطوة الموت مهجة ... لكنت ولكن الردى لا يثمثم (٥)
فلا يبعدنك الله حياً وميتاً ... فقد كنت نور الخطب والخطب مظلم
وقد كنت تمضى الحكم غير مهلل ... اذا غال فى القول الابل الغشمشم (٦)
لعمرو الذى حطت اليه على الونا ... حدابير عوج نيها متهمم (٧)
لقد هدّم العلياء موتك جانباً ... وكان قديما ركنها لا يهدم

ومن العقر على القبور فى الجاهلية عقر المنذر الاكبر على قبر عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الاسديين الابل والخيل وطلاهما بالدماء . وقد بنى على قبرهما الغريان (٨) روى انهما كانا يفدان على المنذر الاكبر فى كل سنة فيقيمان عنده وينادمانه وكانت اسد وغطفان لا يدينون للملوك ويغيرون عليهم فوفدا سنة من السنين فقال المنذر لخالد يوما وهم على الشراب يا خالد من ربك فقال

---

(١) الوائل طالب النجاة (٢) ذر طلع (٣) الملث السحاب الدائم المطر (والمرزم) الرعد الشديد صوته (٤) المرمس القبر و (الاضبط والضيغم) اسمان للاسد (٥) وألت نجت ويثمثم يبطئ ويثمثم يحرك ويدفع (٦) المهلل المتوقف يقال حمل عليه فما هلل و (الابل) الظلوم و (الغشمشم) الذى يركب رأسه ولا يثنيه شئ عما يحب ويهوى (٧) الحدابير جمع حدبار وهي المنحنية الظهر (والنىّ) الشحم و (المتهمم) الذائب (٨) فى القاموس الغرى كغنى البناء الجيد ومنه الغريان بناءان مشهوران بالكوفة .

خالد عمرو بن مسعود ربى وربك فامسك عنهما ثم قال لهما ما يمنعكما من الدخول فى طاعتى وان تدنوا منى كما دنت تميم وربيعة فقالا أبيت اللعن هذه البلاد لا تلائم مواشينا ونحن مع هذا قريب منك بهذا الرمل فاذا شئت أجبناك فعلم انهما لا يدخلان فى حكمه فأوحى الى الساقى فسقاهما سما فانصرفا من عنده بالسكر على خلاف ما كانا ينصرفان فلما كان فى بعض الليل أحس حبيب بن خالد بالامر لما رأى من شدة سكرهما فنادى خالدا فلم يجبه فقام اليه فحركه فسقط بعض جسده وفعل بعمرو مثل ذلك فكان حاله كحاله وأصبح المنذر نادماً على قتلهما فغدا عليه حبيب بن خالد فقال أبيت اللعن أسعدك الاهل نديماك وخليلاك تتابعا فى ساعة واحدة فقال له يا حبيب أعلى الموت تستعدينى وهل ترى الا ابن ميت وأخا ميت ثم أمر فحفر لهما قبران بظاهر الكوفة فدفنا فيهما وبنى عليهما منارتين فهما الغريان وعقر على قبر كل خمسين فرسا وخمسين بعيرا وغراهما بدمائها وجعل يوم نادمهما يوم نعيم ويوم دفنهما يوم بؤس

ومن هذا الباب أيضاً ما حكاه الاصبهانى فى الاغانى أن حسان بن ثابت لما مر بقبر ربيعة بن مكدم قال يعتذر لعدم عقر ناقته على قبره

لا يبعدن ربيعة بن مكدم ... وسقى الغوادى قبره بذنوب(١)
نفرت قلوصى من حجارة حرة ... بنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفرى يا ناق منه فانه ... شريب خمر مسعر لحروب(٢)
لولا السفار وبعد قفر مهمه ... لتركتها تحبو على عرقوب(٣)

---

(١) هذا الشعر نسبه أبو تمام فى الحماسة لحفص بن الاحنف الكنانى وقدمنا انفا من تنسب له هذه الابيات أيضا و (الذنوب) الدلو العظيمة وقيل لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء وقد استعاره للغيث . وربما جعل الذنوب فى الحظ والنصيب (٢) المسعر الذى كانه آلة فى أسعار الحرب (٣) المهمه المفازة . و(الحبو) الزحف قبل القيام ويفعله البعير المعقول وهو يريد المشى و(العرقوب) من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى

فبلغ شعره بنى كنانة فقالوا والله لو عقرها لسقنا اليه الف ناقة سود الحدق ولا عبرة لقول ابن عبد ربه فى العقد الفريد « كان يعقر على قبر ربيعة بن مكدم فى الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره » لما قدمناه ومنه يظهر ان العقر من سنن الجاهلية وعاداتهم المستفيضة ولمشابهته القربان الذى يقدم للاصنام نهى عليه الصلاة والسلام عنه بقوله لاعقر الاسلام ولتأصل هذه العادة من نفوس العرب لم يجتنبها بعضهم فى الاسلام وشاهده قول أبى عمر وهلال بن العلاء الرقى (وعقر فى الجاهلية على قبر ربيعة بن مكدم) وفى الاسلام على قبر المغيرة بن المهلب عقر عليه كعب بن أبى ثور، وقال زياد الاعجم يرثى المغيرة ابن المهلب بن أبى صفرة

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا ... والباكرين وللمجد الرائح(١)
ان السماحة والمروءة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الجلاد وكل طرف سابح(٢)
وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح(٣)

يروى ان زياداً الاعجم أنشد المهلب هذه القصيدة فلما أتى على قوله

فاذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الجلاد وكل طرف سابح

قال له مهلا عقرت عليه يا أبا امامة فرسك قال انى كنت على مقرف ولو

يديها وقوله (تحبو على عرقوب) كناية عن الذبح لان العرب كانوا يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال أبو طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها ... اذا عدموا زادا فانك عاقر

(١) روى أبو الحسن . والغزى اذا غزوا و (القوافل) جمع قافلة وهي الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها و (الغزاة) جمع غاز

(٢) عقر البعير اذا ضرب بالسيف قوائمه و (الكوم) بالضم جمع كوماء بالفتح والمد الناقة السمينة و (الجلاد) جمع جلدة وهى أدسم الابل لبنا و (الطرف) بكسر الطاء الاصيل من الخيل و (سابح) جاد بقوة ويروى كل طرف طامح (٣) النضح الرش القليل

كنت على عتيق (١) لفعلت فاستحسن قوله وقال لمن حضره من ولده ومواليه لينفذ كل واحد منكم الى زياد فرساً من خيله فانصرف بعدة افراس

ومن ذلك قول الفرزدق يرثى بشر بن مروان ويزعم انه عقر فرسه على قبره من قصيدة أولها

أعينى الا تسعدانى ألمكما ... وما بعد بشر من عزاء ولا صبر (٢)
وقل جداء عبرة تسفحانها ... على انها تشفى الحرارة فى الصدر (٣)
ولو أن قوما قاتلوا الموت قبلنا ... بشىء لقاتلت المنية عن بشر

الى أن قال فى عقر فرسه

أقول لمحبوك السراة كأنه ... من الخيل مجنوب الاطاقة والخصر (٤)
أغر صريحىّ أبوه وأمه ... طويل أمرّته الجياد على شزر (٥)
أتصهل عندى بعد بشر ولم تذق ... ذكورة قطاع الضريبة ذى أثر (٦)
غضبت ولم أملك لبشر بصارم ... على فرس عند الجنازة والقبر (٧)
حلفت له لا يتبع الخيل بعدها ... صحيح الشوى حتى تكوس من العقر (٨)
ألست شحيحاً ان ركبتك بعدها ... ليوم رهان أو غدوت معى تجرى

وقال أبو عبيدة دعوى الفرزدق أنه عقر فرسه على بشر بن مروان كذب و(كانوا) يطعمون مايعقر للفقراء والمساكين

وقد أحسن بعض المحدثين فى هذا المعنى فقال

---

(١) المقرف من الفرس وغيره من أمه عربية لا أبوه والفرس (العتيق) الكريم (٢) أسعده الله أعانه (٣) الجداء الثواب (٤) محبوك السراة قوى الظهر (٥) الصريح فرس عبد يغوث بن حرب وآخر لبنى نهشل وآخر للخم و(أمرته) فتلته و(الشذر) فتل الحبل عن اليسار والمعنى ان آبائه أورثته القوة (٦) المذكر من السيوف ذو الماء و(الضريبة) حد السيف و(الاثر) فرند السيف وهو مايرى فيه شبه غبار أو مدب نمل (٧) الجنازة الميت (٨) الشوى اليدان والرجلان والاطراف (كاس) البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب

أيها الناعيان من تنعيان وعلى من أراكما تبكيان
اندبا الماجد الكريم أبا اسحـــاق رب المعروف والاحسان
واذهبا بي ان لم يكن لـكماعقـــر الى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كا ن دمي من نداه لو تعلمان

العقر للضيافة نيابة عن الميت — كما كانوا يعقرون الابل والخيل عند نزول الموت أشعارا بأن أنفس أموالهم هانت عليهم لعظم المصيبة كانوا يعقرون عند القبر اذا مروا به نيابة عن الميت فى قرى الضيفان قال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول حسان بن ثابت

لولا السفار وبعد قفر مهمه لتركتها تحبو على عرقوب

كانت العادة فى العرب ان الواحد اذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى للاضياف ينحر راحلته ويطعمها للناس اذا أعوز الزاد ولم يتسع يفعل ذلك نيابة عنه الا أن يمنع مانع من بعد سفر أو مايجرى مجراه فصار هذا يعتذر من ابقائه على راحلته . وقال فى شرح قول جرير يرثى قيس بن ضرار ابن القعقاع

وحُقّ لقيس أن يباح له الحمى وأنْ تعقر الوجناء أن خف زادها

كان الواحد منهم اذا مر بقبر رئيس وهو فى صحبة أحب أن ينوب عن المقبور فى الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته اكراما لذلك قال : وان تعقر الوجناء ان خف زادها — ثم قال وذكر النمرى ما يشبه هذا ورد عليه أبو محمد الاعرابى فقال ان قوله وان تعقر الوجناء ان خف زادها مثل قول سعيد بن العاص بن أمية يرثى هشام بن المغيرة

ألا هلك المأمول وهو نجيب ومن هو زاد الركب حين يؤوب
فان لم يكن زاد فان قصاره من المفرهات صعبة وركوب

ومن العقر على القبر للقرى ما ذكره المبرد فى الكامل عن لهذم مكاتب لبنى منقر حين ظلع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فانشده

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعد ما خشيت الردى او ان أرد على قسر
بقبر امرىء تقرى المئين عظامه ولم يك الا غالباً ميت يقرى
فقال لى استقدم أمامك انما فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

قال المبرد يريد بقوله تقرى المئين عظامه انهم كانوا ينحرون الابل عند قبور عظمائهم فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات وهذا معروف فى أشعارهم

اتخاذ البلية — وقد كان من مذهبهم فى الجاهلية اتخاذ البلية وهى ناقة تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعا وعطشا

وذكر البلية مطرود بن كعب الخزاعى من قصيدة يرثى بها المطلب وبنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف فى قوله

ياعين فابكى أبا الشمث الشجيات يبكينه حسرا مثل البليات(١)
يبكين أكرم من يمشى على قدم يعولنه بدموع بعد عبرات

وقد بين مذهبهم فى ذلك ابن أبى الحديد فقال «والبلية انهم اذا مات منهم كريم بلوا ناقته أو بعيره فمكسوا عنقها وأداروا رأسها الى مؤخرها وتركوها فى حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها وربما سلخت وملئ جلدها تماماً وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبل عليه حشر ماشياً ومن كانت له بليـة حشر راكباً على بليته » وقد ذكر القلقشندى فى صبح الاعشى «أن العرب كانت تشد ناقة الميت الى قبره ويقبلون برأسها الى ورائها ويغطون رأسها بوليـة وهى البرذعة فاذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى . ويزعمون أنهم اذا فعلوا ذلك حشرت معه فى المعاد ليركبها » . وقد قال أبو زيد فى تشبيه رجال بالبلايا

كالبلايا رءوسها فى الولايا مانحات السموم خرّ الخدود

والولايا البراذع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها فى عنق تلك الناقة وقال الشهرستانى كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلى ظهرها أو مما يلى كلكلها أو بطنها ويأخذون ولية فيشدون وسطها ويقلدونها

(١) البليات جمع بلية

عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر .

ولا يتخذ البلية من لا يؤمن بالبعث . وقال حريبة بن الاشيم الفقعسى يوصى ابنه بالبلية .

يا سعد أما اهلكن فانني أوصيك ان أخا الوصاة الاقرب
لاتتركن أباك يسعى خلفهم تعباً يخر على اليدين وينكب(١)
واحمل أباك على بعير صالح يوم القيامة ان ذلك أصوب(٢)
ولعل لى مما جمعت مطية فى الحشر أركبها اذا قيل اركبوا

وقال عويمر النبهانى يوصى ابنه أيضا

أبنى لا تنس البلية انها لابيك يوم نشوره مركوب

وقال عمرو بن زيد المتمنى يوصى ابنه عند موته بالبلية .

أبنى زودنى اذا فارقتنى فى القبر راحلة برحل قاتر (٣)
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا(٤) مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته فالخلق بين مدفع أو عاثر

وقال أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران (وقد كانوا فى الجاهلية يكسعون ناقة الميت على قبره ويزعمون انه اذا نهض لحشره وجدها قد بعثت له فيركبها فليته لا ينهض بثقله منكبها وهيهات بل حشروا عراة حفاة)

قولهم للميت لا تبعد — كان من عادتهم الدعاء للميت بقولهم لا تبعد وقد كثرت أشعارهم فى هذا . قال أعشى باهلة من قصيدة فى رثاء المنتشر بن وهب الباهلى

---

(١) فى رواية : لا أعرفن أباك يحشر خلفكم . وفى رواية الخطائى

لاتتركن أباك يحشر مرة عدوا يخر على اليدين وينكب

(٢) رواية . وتق الخطيئة انه هو أصوب (٣) القاتر من الرحال أو السروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها الذى يقى الظهر ولا يعقره

(٤) رواية للبعث أركبها اذا قيل اركبوا

فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر اما سلكت سبيلا كنت سالكها (١)

وقالت أم عمرو ترثى ربيعة أخاها

فاذهب فلا يبعدنك الله من رجل لاقى التى كل حى مثلها لاقى

وقالت الخنساء من رثاء لاخيها

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل دراك ضيم وطلاب بأوتار

وقال السموءل

ياليت شعرى حين أندب هالكا ماذا يؤبنى به أنواحى

أيقلن لا تبعد فرب كريهة فرجتها بيسارة وسماح

وقال مخارق بن شهاب أحد بنى خزاعى بن مالك بن عمرو بن تميم

كم شامت بى ان هلكت وقائل لا يبعدن مخارق بن شهاب

المشترى حسن الثناء بماله والمالئ الجفنات للاصحاب

وقد قصدوا بقاء الذكر كما قصد الشنفرى فى قوله وقد قطع يده من أسره

لا تبعدى اما ذهبت شامه فرب واد نفرت حمامه

ورب قرن فصلت عظامه

وقال عبد القادر البغدادى فى خزانة الادب ولب لباب لسان العرب عند قول الخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعى وابنها علقمة بن بشر وأخويه حسان وشرحبيل ومن قتل معه من قومه فى يوم قلاب

لا يبعدن قومى الذين هم سم العداة وآفة الجزر (٢)

---

(١) يقال بعد بعدا من باب فرح فرحا اذا هلك (٢) السم سينه مثلثة و(العداة) الاعداء جمع عادٍ و(الآفة) العلة و(الجزر) بضم فسكون جمع جزور والاصل بضمتين كرسول ورسل فسكن الثانى تخفيفا والجزور هى الناقة التى تنحر فان كانت من الغنم فهى جزرة بفتحتين ـ وصفتهم (أولا) بالشجاعة والنجدة وانهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم و (ثانيا) بالكرم ونحر الابل للاضياف فكانهم آفة للابل تصيبها فتهلكها

النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر(١)

وقال ابن السيد فى شرح أبيات الجمل فان قيل كيف دعت لقومها بالا يهلكوا وهم قد هلكوا فالجواب ان العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ولهم فى ذلك غرضان (احدهما) انهم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل . وكانهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى زهير بن أبى سلمى بقوله

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والاديم صحيح

يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاها وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث و(الغرض الثانى) انهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته ألا ترى الى قول الشاعر

فاثنوا علينا لا أبا لابيكم بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر يرثى يزيد بن يزيد الشيبانى

فان تك أفنته الليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفنى الليالیا

وقد بين مالك بن الريب المزنى ما فى هذا المعنى من المحال فقال من قصيدة

يقولون لا تبعد وهم يدفنونى وأين مكان البعد الا مكانيا

هذا وممن لم يجد فى هذا المعنى غناء الضرار السلمى فقال

وكتيبة فرجتها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت بها يدى

(١) تعنى بقولها (النازلين بكل معترك) انهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون على أقدامهم وفى ذلك الوقت يتداعون نزال وتعنى بقولها (والطيبون معاقد الازر) انهم اعفاء فى فروجهم لان العرب تكنى بالشئ عما يحويه أو يشتمل عليه و(المعاقد) اما جمع معقد بكسر القاف وهو موضع العقد واما جمع معقد بفتح القاف وهو مصدر ميمى قال اللحمى (المعاقد) الحجز

ما كان ينفعنى مقال نسائهم وقتلت دون رجالهم لا تبعد(١)

ومثله قول الشاعر

يقولون لا تبعدومن يك مسدلا على وجهه ستر من الارض يبعد

وقال قراد بن غوية بن سلمى بن ربيعة بن زبان

ألا ليت شعرى ما يقولن مخارق اذا جاوب الهام المصيح هامتى(٢)

ودليت فى زوراء يسفى ترابها علىّ طويلا فى ذراها اقامتى (٣)

وقالوا ألا لا يبعدن اختياله وصولته اذا القروم تسامت (٤)

وما البعد الا أن يكون مغيباً عن الناس منى نجدتى وقسامتى (٥)

معتقداتهم الدينية

نبدأ هذا الفصل باعتقادهم فى الله تعالى فنقول : قد آمن به أصحاب الاديان السماوية من العرب كما آمن به عبدة الاوثان منهم وانما حجوا للاصنام وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور زعماً منهم أنها تشفع لهم عند الله فقالوا مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى . قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات

والحجزة هى حيث يثنى طرف الازار فى لوث الازار أى طيه و(الازر)جمع ازار وسكن تخفيفا والاصل ضمها والازار عند العرب ماستر النصف الاسفل من الانسان والرداء ماستر النصف الاعلى منه والعرب لا تكاد تلبس الا الازر . ولبس السراويل عندهم نادر . يروى ان اعرابيا مرّ بسراويل ملقاة فظنها قميصا فادخل يديه فى ساقيها وأدخل رأسه فلم يجد منفذا . فقال ما أظن هذا الا من قمص الشياطين (١) فى رواية : وقتلت بين(٢) معنى البيت جاوب صداه صداهم على عادتهم فيما كانوا يقولون أن عظام الموتى تصير اصداء وهاماً

(٣) أى أرسلت فى حفرة معوجة يعنى اللحد و(يسفى ترابها) أى يهال ترابها على (٤) اختياله أدلاله وتجبره و (القروم) الفحول ويريد بتسامت القروم تنازلت (٥) القسامة الحسن ويروى مكانها بسالتى أى نجدتي وشجاعتى

والارض ليقولن الله . فكان كفرهم بخضوعهم لها الخضوع التام واحترامهم اياها أعظم الاحترام لان الله خص نفسه بغاية التعظيم ولم يرض الوساطة بينه وبين عباده لانه قريب يجيب دعوة الداع اذا دعاه وهو أقرب اليه من حبل الوريد ومن العرب من انكر وجود الله .وحكى الشهرستانى مذهبهم فقال : (وصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيى والدهر المفنى وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر . اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فطرية فى كم آية وكم سورة فقال تعالى : أولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض . وقال أولم ينظروا الى ماخلق الله . وقال يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم فثبتت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة)

الانبياء والرسل الكرام قد آمن كل أهل دين سماوى بالانبياء والمرسلين الذين ذكرهم نبيهم أوأخبر عنهم كتابهم . اما الدهريون الذين أنكروا الخالق فأنكروا الانبياء والمرسلين كما أنكرهم عباد الاصنام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا قال الشهرستاني (وكان انكارهم لبعث الرسول فى الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا أبشر يهدوننا فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتى ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ومن كان لايعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الانصاب المنصوبة اما الأمر والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التى هى الوسائل)

البعث والحساب – اختلف اعتقاد العرب فى البعث اختلافا كثيرا فاكثر عباد الاصنام الذين تقربوا لله بعبادتها أنكروا بعث الاجساد مع اقرارهم بالخالق وابتداء الخلق والابداع - فقالوا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) وقال تعالى فيهم (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم — وقد استدل الله تعالى عليهم بالنشأة الاولى لاعترافهم بها فقال (قل يحييها الذى انشأها أول مرة)وقال (أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد) ومن أشعارهم الدالة على انكار البعث قول بعضهم

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

وقال شداد بن الاسود الليثى يرثى قتلى بدر من المشركين ويتهكم بما أنزل على سيدنا محمد

ألا من مبلغ الرحمن عنى بأنى تارك شهر الصيام
اذا ما الرأس زايل منكبيه فقد شبع الانيس من الطعام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة اصداء وهام (١)
أتترك ان ترد الموت عنى وتحيينى اذا بليت عظامى

ومنهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعرض الاعمال يومئذ للحساب بقية فيهم من الاديان السماوية وقال أعشى قيس فى ذلك

فما أيبلى على هيكل بناه وصلب فيه وصارا (٢)
يراوح من صلوات المليـ ـك طورا سجودا وطورا جؤارا (٣)
بأعظم منك تقى فى الحساب اذا النسمات نفضن الغبارا (٤)

وقال حاتم الطائى فى البعث واستئثاره تعالى بعلم الغيب

اما والذى لا يعلم الغيب غيره ويحيى العظام البيض وهى رميم

---

(١) يريد بابن كبشة سيدنا محمدا رسول الله (٢) الايبلى الراهب و(الهيكل) بيت النصارى فيه صورة مريم و ديرهم و(صلب) اتخذ صليبا (٣) الجؤار رفع الصوت بالدعاء (٤) النسمة الانسان جمعه نسمات

لقد كنت أطوى البطن والزاد يشتهى محافظة من أن يقال لئيم

وقال حاتم أيضا

وانى وان طال الثواء لميت ويعظمنى ماوى بيت مسقف(١)

وانى لمجزى بما أنا كاسب وكل امرئ كسب بما هو متلف

وقال قس بن ساعدة الايادى فى البعث وكان ممن يعتقد التوحيد

يا باكى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق

دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصعق

حتى يجيئوا بحال غير حالهم خلق مضى ثم هذا بعده خلقوا

منهم عراة وموتى فى ثيابهم منها الجديد ومنها الازرق الخلق

وهو القائل فى وصية له : كلا ورب الكعبة ليعودن ما باد ولئن ذهب ليعودن يوما . وقال زيد بن عمرو بن نفيل.

فلن تكون لنفسى منك واقية يوم الحساب اذا ما يجمع البشر

وقال علان بن شهاب التميمى

وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الاعمال

ومن المؤمنين بالبعث عبد الله بن تغلب بن وبرة وعبد المطلب بن هاشم وكان يقول : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه الى أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقيل له فى ذلك ففكر ثم قال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه والمسيئ يعاقب بأساءته . ومنهم عامر بن الظرب العدوانى حكيم العرب القائل من وصيته له : انى ما رأيت شيئا قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ولا جائيا الا ذاهبا ولو كان يميت الناس الداء لاحياهم الدواء . ثم قال انى أرى أمورا شتى وحتى قيل له وما حتى . قال : حتى يرجع الميت حيا ويعود ماليس بشئ شيئا ولذلك خلقت السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين . فقال: ويل أمها نصيحة لو كان من يقبلها كتابة الاعمال — اعتقد بعضهم بكتابة الاعمال فى هذه الدار وعرضها

(١) يعظمنى من عظمه عظمة ضرب عظامه وفى رواية : يضطمنى

يوم للبعث . فهذا زهير بن أبي سلمى كان يمر بالعضاه وقد أورقت بعد ما يبست فيقول (لولا أن يسبني العرب لآمنت بان الذى أحيا الارض بعد يبسها سيحيي العظام وهى رميم) أى لاعلنت هذا المعتقد ثم جهر به فقال :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ومعنى البيتين ان الله لاتخفى عليه خافية فلا تضمروا الغدر فيرقمه الله فى كتاب ويؤخر العقاب ليوم الحساب او يعجله فى الدنيا فينتقم من الغادر .

الايمان بالقدر - كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الله قدر جميع الممكنات من خير أو شر قبل خلقها . قال الحسن البصرى لم يزل أهل الجاهلية يذكرون القدر فى خطبهم وأشعارهم . وجاء الاسلام فزاد هذه العقيدة تأكيدا . وعن سعيد بن أبي عروبة قال : سألت قتادة عن القدر . فقال رأى العرب تريد أم رأى العجم : فقلت رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة الا كتاباً قد خلا مسطورا

ومن الايمان بالقدر قول لبيد بن ربيعة العامرى فى معلقته

فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها

وقال النابغة :

وليس امرؤ نائلا من هوا ه شيئا اذا هو لم يكتب

خالق أفعال الانسان - اختلف المتكلمون فى الموجد لافعال الانسان الاختيارية فقالت المعتزلة خلقها الانسان وحده وقالت الجبرية بل خلقها الله وهذا الاختلاف مسبوق بالخلاف فيها عند العرب فى الجاهلية . وتوسط أهل السنة فقالوا بوجود الجزء الاختيارى للانسان فى أفعاله

وحكى الخشنى أبو عبدالله محمد بن عبد السلام خلافهم فى الجاهلية فقال : شاعران من فحول الجاهلية ذهب احدهما فى شعره مذهب العدلية والآخر مذهب

الجبرية فالذى ذهب مذهب المدلية أعشى بكر حيث يقول

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجلا

والذى ذهب مذهب الجبرية لبيد بن ربيعة العامرى حيث يقول

ان تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريث وعجل (١)

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وذكر صاحب الاغانى أن أعشى بكر أخذ مذهبه من أساقفة نجران وكان يعود فى كل سنة الى عبد المدان فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم ويناديهم . ويسمع من اساقفة نجران قولهم فكل شىء فى شعره من هذا فمنهم أخذه

التناسخ — هو وصول روح اذا فارق البدن الى جنين قابل للروح . وافترق القائلون به على فرقتين (الاولى) تجيز انتقال الروح لجسد ولو لم يكن من نوع الجسد الذى فارقته اذ ليس انتقالها الى نوعها أولى من انتقالها الى غير نوعها . والتناسخ عندهم على سبيل العقاب والثواب فالفاسق تنتقل روحه

---

(١) النفل محركة الغنيمة والهبة و (الريث) الابطاء كالريث

قال السيد « ان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك . واما قوله . وباذن الله ريثى والعجل . فيحتمل ان يريد باذنه علمه كما يتأول عليه قوله تعالى « وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله » أى بعلمه وان قيل فى هذه الآية انه أراد بتخليته وتمكينه. وان كان لا شاهد لذلك فى اللغة أمكن مثله فى قول لبيد . وأما قوله من هداه سبل الخير فيحتمل أن يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار اللهم الا أن يكون مذهب لبيد فى الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا تأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه » زاد بعضهم بين بيتى لبيد قوله

أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ما شاء فعل

الى أجساد البهائم المسخرة للاعمال الشاقة أو المعدة للذبح أو المرتطمة فى الاقذار و (الثانية) تمنع انتقال الروح لجسد يغاير نوع الجسد الذى فارقته لان النوع الذى أوجب لها طبعها الاشراف عليه والتعلق به لا يجوز ان تتعلق بغيره والتناسخ مذهب قديم قال به أهل الهند والعرب فى الجاهلية قال ابن أبى الحديد : وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الارواح فى الاجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة (١)

وقدمنا آنفا عند قولهم للجنازة كنت فى أهلك ماأنت مرتين عن ابن حجر انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون ان الروح اذا خرجت تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس

ولقد خالف بعض المسلمين الاجماع فأجاز انتقال الروح لجسد من نوع الجسد الذى فارقته أو من غير نوعه ومن هؤلاء احمد بن حابط و احمد بن نانوس تلميذه وأبو مسلم الخراسانى ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب وهو قول القرامطة وأكثر جماعة الشيعة وقال رجل من النصيرية

اعجبى امنا لصرف الليالى جعلت اختنا سكينة فاره
فازجرى هذه السنانير عنها واتركيها وما تضم الفراره

المسخ — تحويل الصورة الى صورة هى دونها قال الجاحظ قلت لعبيد الكلابى وكان مشغولا بالابل أبينكم وبين الابل قرابة قال نعم خؤولة فقلت مسخك الله بعيرا فقال ان الله لايمسخ انسانا على صورة كريم بل لئيم . وينكر المسخ اكثر الدهرية وأهل الكتاب لم يقروا به غير أنهم أجمعوا على أن الله جعل امرأة لوط حجرا والمسلمون على جوازه لامكانه ووقوعه قال تعالى (فلما

---

(١) قال الشهرستانى فى الملل ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا أنكر الرسول عليهم فقال لا هامة ولا عدوى ولا صفر) وانت خبير بأن هذا ليس من التناسخ الذى هو وصول الروح عند مفارقة البدن لجسم جنين

عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أما اعتقاد مسخ شيء معين فتوقف على ورود النص

وكانت العرب فى الجاهلية تعتقد وقوع المسخ فزعموا أن عشارين مسخ أحدهما ضبعا والآخر ذئباً وزعموا أن سهيلا كان عشارا وأن الزهرة كانت امرأة اسمها اناهيد فمسخا نجمين .

﴿ أحكامهم الدينية ﴾

لا نذكر فى هذا الفصل الاحكام الدينية لليهود والنصارى من العرب ولكن نذكر بعض الاحكام الدينية لمشركيهم وهم الدهماء وتلك الاحكام اما من مجهود قرائحهم واستحسانهم ما حسنه عقلهم واستقباحهم ما قبحه أو بقية فيهم من شريعة ابراهيم واسماعيل فان الحنيفية لم تطمس جميع أحكامها بما دخل عليها من عبادة الاصنام والكواكب وغيرها . فقد حرم كثير منهم الزنا لتحريم شريعة ابراهيم أياه أو لما فيه من ضرر الاغارة على الاعراض واختلاط الانساب فمن هؤلاء عبد الله بن عبد المطلب والد نبينا عليه الصلاة والسلام وهو القائل لما راودته فاطمة بنت مر الخثعمية عن نفسها

أما الحرام فالممات دونه ... والحل لاحل فأستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه ... يحمى الكريم عرضه ودينه

ومنهم الاسلوم اليالى وهو القائل فى تحريم الزنا والخمر .

سالمت قومى بعد طول مضاضة ... والسلم أبقى فى الامور وأعرف
وتركت شرب الراح وهى أميرة ... والمومسات وترك ذلك أشرف
وعففت عنه يا أميم تكرماً ... وكذاك يفعل ذو الحجا المتعفف

ومنهم عنترة بنى عبس وهو القائل .

ما سمت أنثى نفسها فى موطن ... حتى أوفى مهرها مولاها
أغشى فتاة الحى عند حليلها ... واذا غزا فى الجيش لا أغشاها
واغض طرفى ان بدت لى جارتى ... حتى يوارى جارتى مأواها

وكانوا يرجمون فى الزنا ويروى أبو هلال العسكرى عند قولهم فى المثل

(احدى بنات طبق) ان امرأة قالت لزوجها في سفر احمل لى هـذا الكرز فحمله فلما توسط الثنية وجد بللا على عنقه فقذف به فخرج منه رجل يسعى فاستفتى لقمان بن عاد فى شأنها فقال تدفن حية فى كرزها قال أبو حاتم وأظن ان أصل رجم المحصنة من هذا وذكر القلقشندى ان أول من رجم فى الزنا في الجاهلية ربيع بن حدان ثم جاء الاسلام بتقريره فى المحصن

وحرم كثير من أهل الرأى فيهم الخمر تكرما لانفسهم وصيانة لها عن معرة السكر او اتقاء لضرر الخمر وذكر ان أول من حرمها الوليد بن المغيرة وقيل قيس بن عاصم السعدى وفيها يقول

لعمرك ان الخمر مادمت شارباً لسالبة مالى ومذهبة عقلى
وتاركتى من الضعاف قوائم ومورثتى حرب الصديق بلا نبل

وحرمها صفوان بن أمية بن محرث الكنانى وقال وتروى لقيس بن عاصم

رأيت الخمر صالحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتى ولا أشفى بها أبدا سقيما
ولا أعطى بهـا ثمناً حياتى ولا أدعو لها أبدا نديما
فان الخمر تفضح شاربيها وتورثهم بها الامر العظيما
اذا دبت حياها تعلت طوالع تسفه الرجل الحليما

ومنهم مقيس بن صبابة السهمى وذلك انه سكر مرة فجعل يخط ببوله . ويقول نعامة أو بعير فلما أفاق أخبر بذلك فحرمها وقال

رأيت الخمر طيبـة وفيها خصال كلها دنس ذميم
ولا والله أشربها حياتى طوال الدهر ما طلع النجوم

ومنهم الاسلوم اليالى وعبد المطلب بن هاشم جد النبى عليه السلام وعمه أبو طالب وجده قصى بن كلاب وهو القائل لبنيه اجتنبوا الخمر فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وورقة بن نوفل وشيبة بن ربيعة والوليد بن الوليد وعامر بن الظرب العدوانى وعبد الله بن جدعان وكان من أجواد قريش وساداتها وسبب تحريمه الخمر كما قال أبو الزناد انه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضربه

على عينه فأصبحت عين أميـة مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال له ألست ضاربها بالامس فقال أو بلغ منى الشراب ماأبلغ معه من جليسى هكذا ووداها ديتين عشرة آلاف درهم وقال الخمر على حرام لا أذوقها بعـد اليوم أبدا وحرمها عفيف بن معـديكرب الـكندى عم الاشعث بن قيس وقال

وقائلة هلم الى التصابى ... فقلت عففت عما تعلمينا
ووديت القداح وقد أرانى ... بها فى الدهر مشغوفا رهينا
وحرمت الخمور علىّ حتى ... أكون بقعر ملحود دفينا

وقال أيضا

فلا والله لا ألفى وشربآ ... أنازعهم شرابآ ما حييت
أبى لى ذاك اباء كرام ... وأخوال بعزهم ربيت

ومن حرمها فى الجاهلية وأدرك الاسلام أسد بن كرز وكان يدعي في الجاهلية رب بجيلة وسويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائى وهو القائل حين أدرك الاسلام

تركت الشعر واستبدلت منه ... اذا داعى منادى الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك ... وودعت المدامة والنـدامى
وحرمت الخمور وقد أرانى ... بها سدكا وان كانت حراما

وأبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن مرداس وقد قيل له حين كبر لو أخـذت من الشراب شيئا فانه يزيد فى قوتك فقال لا أدخل رأسى شيئا يحول بينى وبين عقلى . وعثمان بن عفان وقيل له مامنعك من شرب الخمر فى الجاهلية فقال انى رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئا ذهب جملة ويعود جملة . وعدى بن هاشم وقد قيل له مالك لا تشرب الخمر فقال لا أشرب ما يشرب عقلى وقيل له مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أصبح حكيم قومى وأمسى سفيههم

ومن بقايا دين ابراهيم فيهم احترام البيت وأعمال الحج والعمرة وحرم

الاشهر الحرم والغسل من الجنابة وتغسيل الموتى وتكفينهم مما تقدم ذكره ومن الاحكام الدينية التى ذكرتها مفصلة فى كتابى « المرأة العربية فى الجاهلية » حرمة تزوج الامهات والبنات والعمات والخالات وحرمة الجمع بين الاختين وأول من جمع بينهما أبو اجيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتى المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وحرمة قربان الحائض والاغتسال من الحيض والظهار والايلاء والخلع وعدة الوفاة والطلاق والعدة منه وكونه ثلاثا على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها . ولقد حرموا السرقة وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة تصلب الرجل اذا قطع الطريق وقدروا الدية فى النفس والجوارح وحكموا بأن الخنثى يتبع فى ميراثه المبال وكان طريق الحكم عندهم يمينا أو منافرة الى حاكم يقطع بالبينات أو جلاء وبرهانا يجلى به الحق وتتضح به الدعوى وجاء ذلك فى قول زهير

فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

قال بعض الرواة لو أن زهيرا نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى مازاد على ما قال . وكانت اليمين على المدعى . وأول من قال البينة على من ادعى واليمين على من أنكر قس بن ساعدة الايادى . وكانوا يقضون بالقسامة وهى الايمان تقسم على أهل المحلة فى شأن قتيل وجد فى محلتهم لم يدر قاتله فيستحلف ولى الدم منهم خمسين رجلا بالله ماقتلت وما علمت له قاتلا وأول قسامة فى الجاهلية كانت بحكم أبى طالب وجاء الاسلام فأقر القسامة على ما كانت عليه فى الجاهلية . وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشر التى ابتلى الله بها ابراهيم وهى خمس فى الرأس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب وفرق الشعر والسواك وخمس فى الجسد وهى الاستنجاء بالماء وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان امتثالا لامر ربه . فلما جاء الاسلام أقرها سنة من سنن الدين ولنبسط الكلام على الختان فنقول

الختان - هو فى العرب سنة للنساء والرجال وأول امرأة أختتنت هاجر أم اسماعيل وأول رجل أختتن ابراهيم امتثالا لامر ربه ولقد حافظت العرب على سنة الختان حتى أن العربى ليخشى أن يوسم بانه أغرل (١) وشاهده ماحكاه ابن هشام فى غزوة حنين من انه لما استحر القتل من ثقيف فى بنى مالك فقتل منهم سبعون رجلا منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وقتل معه غلام نصرانى له أغرل فبينا رجل من الانصار يسلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده أغرل فصاح بأعلى صوته يامعشر العرب يعلم الله ان ثقيفا غرل قال المغيرة بن شعبة فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا فى العرب فقلت لا تقل ذاك فداك أبى وامى انما هو غلام لنا نصرانى. ومنه يعلم أن نصارى العرب كانوا لا يختنون ومن عادتهم أن يختنوا الوليد رضيعا أو صبيا ويتخذون لذلك وليمة يسمونها الاعذار وحكى أهل السير أن النبى ولد معذورا (٢) قال الجاحظ فى الحيوان (والختان فى العرب فى الرجال والنساء من لدن ابراهيم وهاجر الى يومنا هذا ثم لم يولد صبى مختون قط أو فى صورة مختون وناس يزعمون أن النبى وعيسى ابن مريم عليهما السلام ولدا مختونين والسبيل فى مثل هذا الرجوع الى الرواية الصحيحة) وقد اختلف فى ولادة نبينا مختونا على ثلاثة أقوال حكاها ابن القيم الجوزية فى كتابه زاد المعاد (أولها) انه ولد مختونا مسرورا (٣) وقد روى فى ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى الموضوعات وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيرا من الناس يولد مختونا والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (٤) (ثانيها) انه ختن

---

(١) الاغرل كالاقلف ذو الغرلة أو القلفة وهى الجلدة التى تقطع فى الختان (٢) معذورا أى مختونا يقال عذر الصبى واعذر اذا ختن (٣) مسرورا أى مقطوع السرة (٤) كانت العرب فى الجاهلية تزعم أن الغلام الذى يولد فى القمراء يختنه القمر وذلك لان غرلته تتقلص فيصير كالمختون قال ابن أبى الحديد « ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه ابلاء السكتان وانتان اللحم وقد روى عن على بن أبى طالب اذا رأيت الغلام طويل

يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليمة(ثالثها) ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا » قال أبو عمرو ابن عبد البر وفى هذا الباب حديث غريب مسند الى ابن عباس ومن دجال سنده يحيى بن أيوب القائل قد طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته الا عند ابن أبى السرى وقد صنف كمال الدين بن طلحة مصنفا فى انه ولد مختونا وأجلب فيه من الاحاديث التى لا زمام لها فنقضه عليه كمال الدين بن العديم وبين فيه انه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب مغنياً عن نقل معين فيها

﴿ الدين الفتشي ﴾

يقال له دين الوثن وذى الروح . لان أهله اعتقدوا أن لكل مادة روحا تحتل الجسم أو تتصل به ولها سلطان على الاجسام الاخرى حتى أن عبيد غانة كانوا اذا خرجوا لسفر أقسموا أمام أول كائن يبصرونه انهم يخصونه بأنواع العبادة اذا وفقوا فى سفرتهم فعبدوا لذلك الاشجار واغصانها وجذورها وقشورها والجلد والعظم والريش والناب والمخلب والحافر والسن والظفر والحجر وأنواع الحيوان وآلات الحرب والشمس والقمر وغير ذلك لاعتبارهم أن لها قوة مؤثرة وقدموا لها القرابين باعتبار الروح التى تتصل بها أو تحتلها واتخذوها تميمة تقيهم عوادى الايام وتدفع عنهم الخطوب . وهذه ديانة كل الامم المتوحشة ويسمى الافرنج هذا الدين فتيش fétichisome وأصلها فى اللغة

الغرلة فأقرب به من السؤ د واذا رأيته قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به» وأنث خبير إنه يولد فى القمراء كثيرون ومتقلص الغرلة منهم أقل من القليل وكان يصح دعوى جواز الخاصة للقمر لو كان من يولد فى القمراء كلهم أو جلهم متقلص الغرلة وانما خاطبهم على رضى الله عنه بحسب مايعتقدون قال امرؤ القيس لقيصر وقد وجده أقلف حين دخل معه الحمام

انى حلفت يمينا غير كاذبة لانت أغلف الا ماجنى القمر

البرتغالية feiço بمعنى السحر لان الملاحين البرتغاليين سموا بها السحرة من الزنوج ثم توسعوا فيها فأطلقوها على هذا الدين ولقد كان اكبار بعض الناس للحكماء الاولين أن اتخذوا لهم الصور والتماثيل اعترافا بفضلهم فيما بذلوا من الارشاد والتهذيب فاتخذ المتأخرون لجهلهم تلك الصور والتماثيل زلفى يعبدونها لتقربهم الى الله ثم آل الامر ببعضهم أن اتخذ تلك الاصنام آلهة خصوها بأنواع العبادة كما دعتهم أوهامهم الى ذلك

ولشيوع هذا النوع من العبادة فى أمم عديدة عبدت الملوك العادلون والعُبّاد والشجعان والقواد والسمحاء الاجواد ممن بلغ فى صفة غاية الكمال ثم زادوا فيه توسعا فعبد كل قوم صنما استحسنوه على صورة انسان أو كوكب أو حيوان أو معدن أو نبات ثم توسعوا فى ذلك حتى اختص بعضهم بصنم يعبده فى خلوته دون ذويه وعشيرته

ومعبودات هذا الدين لاتحصر فان من لوازم النفوس البحث عن موجد فتصوروه النافع أو الضار من النبات أو المعدن أو الحيوان أو الكواكب وافترقوا فى عبادة ذلك النافع أو الضار بحسب اختلاف النظر الى فرق شتى . فمنهم عباد الثيران وعباد الثعابين . وعباد الفيلة وعباد القطط وعباد الثوم وعباد شجر الزيتون وعباد الخرنوب وعباد الشمس أو القمر وعباد التماثيل ، وعباد الانسان أو جزء منه أو غير ذلك حتى عبدوا الارواح كالملائكة والشياطين . واعتنق هذا الدين كثير من العرب من قديم الزمان ولم تدل دولة هذا الدين وغيره من الاديان حتى أشرق على العرب نور الاسلام فتبددت بأشعته حجب الاوهام

﴿ عبادة الانسان والحيوان والشجر والملائكة والجن ﴾

من العرب عباد الحيوان أوعبدة الملائكة أو الجن أو الشجر لمعنى تلحظه فى المعبود من النفع أو الضرر . فمن عبادة الحيوان عبادتهم للجمل وشاهدها ماذكره السهيلى فى قدوم وفد طيئ على رسول الله قال « خرج نفر من طيئ

يريدون النبي عليه السلام بالمدينة وفودا وممهم زيد الخيل ووزر بن سروس الشيباني وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جوين الجرمي وهو النصراني ومالك ابن عبد الله بن خيبري بن افلت بن سلسلة وقعين بن خليف الظريفي رجل من جديلة ثم من بني بولان فنقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبي صلى الله عليه وسلم اليهم قال إني خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود الذي تعبدونه من دون الله وما حازت مناع (١) من كل ضار غير نفاع ، ونقل هذا الخبر الاصفهاني في الاغاني . ومن ذلك ما كان من عمرو بن حبيب الموصوف بذي الكيود أي كثير الكيد فانه أغار على بني بكر فأصاب سقبا (٢) كانوا يعبدونه من دون الله فأراد اخاظتهم فنحره وأكله وفي ذلك يقول احمد البدوي الشنجيطي عند ذكر عارب وهو أبو قبيلة

وأنسب حبيبهم وذا الكيود ... آكل سقب بكر المعبود

عبادة الانسان — كانوا يعظمون الاحراء والرؤساء تعظيم العبادة . وليس أدل على ذلك من الحج اليهم وتعظيم أماكنهم وآثارهم وقد حجت العرب عصابة الزبرقان بن بدر قال السهيلي : وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمائم وثياب وينضح بالزعفران والطيب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت وقد أشار الزبرقان لذلك بقوله من قصيدة

بما ترى الناس تأتينا سراتهم ... من كل أرض هوياً ثم تصطنع (٣)

فننحر الكوم عبطا في أرومتنا ... للنازلين اذا ما انزلوا شبعوا

قال البغدادي في خزانة الادب (وقال أبو محمد الاسود الاعرابي ان بني سعد ابن زيد مناة كانوا يحجون عصابة الزبرقان اذا استهلوا رجبا في الجاهلية اجلالا له واعظاما لقدره وذكر ذلك ربيعة بن سعد النمري يمدح الزبرقان بقوله

كانت تحج بنو سعد عصابته ... اذا استهلوا على أنصابه رجبا

---

(١) قال أبو المنذر يعني بمناع جبل طيء (٢) السقب ولد الناقة أو ساعة يولد أو خاص بالذكر (٣) وفي رواية . من كل أرض هوانا ثم نتبع

سب يزعفره سعد ويعبده فى الجاهلية يتابونه عصبا

والعصابة مايعصب به الرأس » فأنت ترى الشاعر قد صرح بان هذا التعظيم نوع من العبادة فى قوله ويعبده فى الجاهلية . ولقد هجا الزبرقان بن بدر المخبل السعدى فقال

ألم تعلمى يا أم عمرة انني تخاطأنى ريب الزمان لاكبرا (١)

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا (٢)

والزبرقان هو حصين بن بدر لقب به لحسن وجهه لان الزبرقان من أسماء القمر أو لانه كان يزبرق عمامته فى الحرب أى يصفرها . وكان الزبرقان فى وفد تميم الذين وفدوا على رسول الله فنادوه من وراء الحجرات وقد أسلم وولاه رسول الله صدقات قومه فأداها فى الردة الى أبى بكر فأقره ثم الى عمر وذكر الكوكبى انه وفد على عبد الملك وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل فرس الى آبائه وأمهاته وحلف على كل فرس منها يمينا غير التى حلف بها على غيرها فقال عبد الملك : عجبى من اختلاف ايمانه أشد من عجبى بمعرفته بأنساب الخيل

عبادتهم الملائكة والجن — شاهدهما ما ذكره الشهرستانى فى كتابه

---

(١) تخاطأنى بمعنى تخطانى وفاتنى و(ريب الزمان) حوادثه و (كبر)فى السن من باب فرح . يعنى انه كره أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من الجلالة والمعظمة بحيث يحج بنو سعد عصابته (٢) قال البغدادى فى خزانة الادب . قال أبو محمد الاسود (واشهد) بالنصب عطف على لاكبرا و(عوف) أبو قبيلة وهو عوف بن كعب بن سعد و (الحلول) القوم النزول من حل بالمكان اذا نزل فيه و (يحجون) يقصدون قال ابن دريد فى الجمرة الحج القصد وأنشد هذا البيت و (السب) بكسر السين المهملة العمامة . وكانت سادات العرب تصبغ العمائم بالزعفران وقال بعض الناس ان الشاعر قصد بهذا البيت معنى قبيحا وكنى بهذا اللفظ عنه . ويدفعه قوله يزورون فان الزيارة لا تستعمل فى هذا الا أن يدعى التهكم

الملل والنحل : ان من العرب من يصبوا الى الملائكة فيعبدهم ومنهم من يعبد الجن و يعتقدون فيهم انهم بنات الله . وقال أبو المنذر « وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن وفيهم نزلت ان الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم » وفى شعب الايمان عن مجاهد قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا بنات سراة الجن . ولقد رد الله عليهم بقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون » الى أن قال « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا . ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون »

وقد اعتقد بعض العرب فى أشخاص من الملائكة والارواح التدبير لاهل الارض فيما دون الامور العظام من اصلاح حال العابد فى نفسه وولده وماله وشبهوهم بحال الشفعاء والندماء . وبعضهم اعتقد أن الله جل جلاله يكتسب من الملائكة علما ليس عنده قياسا على الملوك بالنسبة للجواسيس .

واعتقد العرب أيضا ان الجن يعلمون الغيب . وانهم قادرون على ايذاء الانسان فكانوا يستعيذون بهم اذا ركبوا المفاوز يزعمون انهم اذا استعاذوا بهم دفعوا عنهم كل مكروه حتى قال بعضهم وقد استعاذ بالجنى عظيم الوادى فأكل السبع ولده

قد استعذنا بعظيم الوادى من شر مافيه من الاعادى
فلم يجرنا من هزبر عادى

ونسبوا أكثر الامراض الى الجن وداووها بالتقرب اليها واذا اشترى أحدهم داراً أو استخرج عينا ذبح للجن ذبيحة لتسعد الدار ولا تنضب العين

وأمثال هذه المعتقدات كانت مدعاة لعبادتهم وعن عبد الله بن مسعود فى رواية أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا : ولقد رد الله أيضا على من عبد الملائكة من العرب بقوله

« ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون

عبادتهم للاشجار – حكي عبادتهم لها ابن هشام فى السيرة عند الكلام على غزوة حنين عن الحارث بن مالك . قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية . فسرنا معه الى حنين وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات انواط (١) يعظمونها ويأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما . فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم » وفيها يقول الشاعر

لنا المهيمن يكفينا أعادينا كما رفضنا اليه ذات أنواط

هذا وعبدت العرب العزى وهي كما قال السهيلى « نخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحى قد أخبرهم أن الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتاً وكانوا يهدون اليه كما يهدون الى الكعبة »

ومما فعله عمر بن الخطاب مخافة عبادة الشجر قطعه للشجرة التى حصلت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست للهجرة فعن نافع قال (كان الناس يأتون الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت . فعل عمر ذلك قطعا لشأفة الوثنية خشية الفتنة بها وعبادة غير الله تعالى . ولعمر فى هذا الباب مواقف مجيدة منها انه عند مادخل مسجد بيت المقدس استدعى كعب الاحبار فلما أتى به قال له أين ترى أن نجعل المصلى فقال الى الصخرة فقال

(١) ناطه نوطا علقه والانواط المعاليق سميت بذلك لانهم كانوا يعلقون بها أسلحتهم

ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعك نعليك فقال أحببت أن أباشره بقدمى فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورها فاذهب اليك فانا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة.

ومنها قوله للحجر الاسود لولا انى رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك ولقد أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع

﴿ الوثنية فى العرب ﴾

أول من سجد للاصنام الصابئون . وكانوا كالمجوس يسجدون فى مبدأ أمرهم للاجرام السماوية ولما رأوا الشمس تختفى ليلا وسائر الكواكب نهاراً وأرادوا التمكن من عبادتها فى كل حين مثلوا لها صورا عبدوها ولذلك كانت أوثان القدماء المشهورة هى المشترى وزحل والمريخ وعطارد وأرطاميس ويونون والزهرة . ثم زعموا أن لنفوس الاموات العظماء مددا الهياً به كانوا عظماء فى الحياة فمثلوا لهم صورا عبدوها واتخذوهم شفعاء عندالله . وأول من فعل ذلك نينوس بن نمروذ بن نوح ملك الاشوريين بانى مدينة نينوى فانه صنع لابيه تمثالا سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد وحمل الناس على عبادته وذلك مبدأ عبادة الملوك والامراء والشجعان

وتاريخ دخول الوثنية فى بلاد العرب قديم جداً وأول من أدخلها الى مكة وما جاورها عمرو بن لحى سيد خزاعة . وذلك أن جرهما كانوا قد طغوا فى الحرم وظلموا واستحلوا منه أمورا عظاما . فارسل الله اليهم خزاعة حين أجلاهم سيل العرم من بلادهم فطردوا جرهما منه وقتلوا من قتلوا منهم فشفى ذلك صدور أهل الحرم وفرحوا بانتصار خزاعة على جرهم . وربما ظنوا أن الله قد أرسلهم اليهم ليخلص أهل حرمه من جورهم وكان رئيس خزاعة عمرو بن لحى فتولى سدانة البيت . ودانت له العرب واتخذوه رباً لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة . وكان فوق ذلك قد ملكهم بأحسانه فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة . وكان يطعم الحجيج السويق فدعاهم لعبادة الاوثان وكانت نفوسهم مستعدة لعبادتها بما كانوا يعظمونه

من حجارة الحرم فأجابوه حكى أبو المنذر عن أبيه وغيره قال« ان اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملؤا مكة ونفوا من كان فيها من العماليق فضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا فى البلاد والتماس المعاش وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا أحتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وحباً لها وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث أبيهم ابراهيم واسماعيل . ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان (١) وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم وانتجثوا (٢) ما كان يعبد قوم نوح منها على ارث ما بقى فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ماليس منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسيب السائبة . ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحمى الحامية عمرو بن ربيعة . وهو لحى ابن حارثة بن عمرو بن عامر الازدى وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحى نازعه فى الولاية وقاتل جرهما بنى اسماعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة

(١) لهذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمس التماثيل ولعن المتخذين على القبور المساجد والسرج ونهى عن الصلاة الى القبور وسأل ربه ألا يجعل قبره وثنا يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدا وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد حتى لا تخلف الخلوف بعد الخلوف وتنسى ما كان عليه السلف وتتخذ ماتصنع دينا فسدا للذريعة نهى عن ذلك

(٢) انتجثوا استخرجوا

البيت . ثم انه مرض مرضاً شديداً فقيل له ان بالبلقاء من الشام حمة (١) ان أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام . فقال ماهذه فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة(٢)» فانت ترى ان الوثنية كانت فيهم قبل عمرو بن لحى بما عبدوه من حجارة الحرم فى أسفارهم وانما عمرو بن لحى هو أول من وضع لهم أنواع عبادتها وبين لهم ضروب التقرب اليها من اتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وغير ذلك . وأول من نقل الاصنام الى الحرم ونصبها حول الكعبة وحمل أهله على عبادتها ولولاه ما رسخت فيهم أقدامها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت أول من سيب السائبة ونصب النصب عمرو بن لحى رأيته يؤذى أهل النار بريح قصبه (٣) وقال سحنة بن خلف الجرهمى فى اتخاذ عمرو بن لحى للاصنام

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة ... شتى بمكة حول البيت انصابا
وكان للبيت رب واحد أبداً ... فقد جعلت له فى الناس أربابا
لتعرفن بأذن الله فى مهل ... سيصطفى دونكم للبيت حجابا

ونظم ذلك أحمد البدوى الشنقيطى فى كتابه عمود النسب فقال

قمعة قيل جد عمرو بن لحى ... ذى القصب فى حديث أفضل لؤى
أول من حمل أكياس الحرم ... لكفره على عبادة الصنم
وأدخل الذين أخرجهما ... أذ أحدثا فسخا أهلهما (٤)

---

(١) الحَمَّةُ بفتح الحاء والميم المشددة المفتوحة كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفى بها الاعلاء (٢) حكى أبو المنذر أيضاً أن عمرو بن لحى كان كاهنا وكان له رئى من الجن يكنى أبا ثمامه فقال له عجل بالسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة . قال جير ولا أقامه قال . ائت ضف جدة تجد فيها أصناما معدة . فاوردها تهامة ولا تهب ثم أدع العرب لعبادتها تجب . فأتى شط جده فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة (٣) القصب بالضم المعى جمعه أقصاب (٤) انظر الكلام على أساف صفحة ١٣٣

وصلبا على الصفا ليتعظ عن الزنا بمكة كل يقظ
ملك أربعين الفا فسمل عن شكرها عيون عشرين جمل(١)
وكاد يعبد فكل ما أمر به من المختلقات يعتبر
كالبحر والوصل وكالتسيب وكالحماية وكل ريب

الى أن قال بعد تفصيل فى البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى

والعرب قبل متدينونا بملة الخليل يعملونا
وهو أبو خزاعة واكثم شبهه به النبي منهم (٢)

وقد نص الشهرستانى فى الملل أن عمرو بن لحى وضع الاصنام فى البيت فى أول ملك سابور ذى الاكتاف وتاريخ دخول الوثنية فى الحرم يرجع لتولى عمرو بن لحى الحرم حين زوجه مع خزاعة وتغلبه على جرهم عام سيل العرم . وقد اختلفوا فى وقت حدوث ذلك السيل قال حمزة الاصفهانى انه حدث قبل الاسلام باربعمائة سنة أى فى القرن الثالث للميلاد . وقال ابن خلدون أن السد تهدم فى أيام حسان بن تبان أسعد أى فى القرن الخامس للميلاد وذكر ياقوت انه وقع فى ملك حبشان ولعلها حسان حرفها النساخ بحبشان فيوافق ابن خلدون أو المراد بحبشان الاحباش وقد كان ملكهم على اليمن فى القرن السادس

---

(١) فى الروض الانف : وذكر أبو الوليد الازرقى فى أخبار مكة أن عمرو ابن لحى فقأ أعين عشرين بعيراً وكانوا يفقؤن عين الفحل اذا بلغت الابل الفا فاذا بلغت الفين فقؤا العين الاخرى قال الراجز

وكان شكر القوم عند المنن كى الصحيحات وفقء الاعين

(٢) حكى ابن اسحاق فى سيرته أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله يقول لأكثم بن الجون الخزاعى يا أكثم رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف يجر قصبه فى النار . فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه . فقال أكثم عسى أن يضرنى شبهه يارسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر . انه كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى

وكانت الوثنية فى عاد قوم هود وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان وفى ثمود قوم صالح وكانت منازلهم بين الشام والحجاز فى الحجر وقرح وهى وادى القرى وفى دولة حمو رابى وهى الدولة البابلية الاولى من سنة ٢٤٦٠ق م الى ٢١٨٢ ق م وفى أثناء هذه الدولة بعث لهم ابراهيم الخليل وقد حكى الله قصة تكسيره الاوثان فى قوله « وتالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون » الى آخر الآيات ومعبودات البابليين على ما ذكره جرجى زيدان فى كتابه العرب قبل الاسلام كثيرة الشبه فى أسمائها وأسماء الذين ينتسبون اليها باقدم الهة العرب فى اليمن وغيرها مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويشع . وذكر ايضا أن العرب القحطانيين والعدنانيين يشتركون فى عبادة الاصنام الا أن آلهة القحطانيين أهل اليمن أقرب الى معبودات البابليين فعندهم عشتار وايل وبعل وغيرها أما العرب الاسماعيليون أو العدنانيون سكان شمال جزيرة العرب فيشتركون فى عبادات تختلف عن تلك كاللات والعزى ومناة وهبل وغيرها وكانت الوثنية فى مدين قوم شعيب وكانت منازلهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلى الحجاز وكانت الوثنية دين ملوك الحيرة قبل أن يتنصروا ودين أهل اليمن قبل أن يدخل تبع الآخر اليهودية فيهم

﴿ أصنام العرب وبيوت عبادتها ﴾

قال السهيلى يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير الصخر كالنحاس وغيره وقال أبو المنذر المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم واذا كان من حجارة فهو وثن وقال غيره الوثن كل ماله جثة معمولا من جواهر الارض أو من الخشب أو الحجارة كصورة آلادمى تعمل وتنصب فتعبد والصنم الصورة بلا جثة ومن العلماء من لم يفرق بينهما وقال اذا كان ما يعبدونه حجرا على غير صورة فهو نصب وان كان تمثالا سمى صنما ووثنا ويقال لبيت الاصنام الذى يتخذ ويزين الزونة

و للبيت الذى فيه أصنام وتصاوير البد وكان للعرب أصنام عدة و بيوت للعبادة يعظمونها ويجعلون لها سدنة وحجابا ويهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كطوافهم بها وينحرون عندها وهم يعرفون فضل الكعبة عليها لانهم يعلمون انها من بناء ابراهيم الخليل عليه السلام . ولنذكر ماعثرنا عليه من ذلك مرتبا على حروف المعجم فنأتى بكل ما جاء منها بكتاب الاصنام لابى المنذر هشام بن محمد السائب بن بشر الشهير بأبن الكلبي وما لم يذكر منها فيه ننبه عليه وقد نعزوه الى مأخذه ونكتفى فيما ذكره احمد بن فارس الشدياق فى كتابه الساق على الساق فيما هو الفارياق بقولنا عن احمد فارس وفيما ذكره ابن سيده فى المخصص بقولنا عن المخصص وفيما ذكره السيد مرتضى فى تاج العروس شرح القاموس بقولنا عن تاج العروس فنقول :

آزر ـ صنم عبدته العرب فى الجاهلية (عن تاج العروس)

اساف ونائلة ـ صنمان عبدتهما العرب وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما . حكى ابن المنذر عن أبى صالح عن ابن عباس « ان اساف بن يعلى رجل من جرهم كان يتعشق نائلة بنت زيد من جرهم (١) فى أرض اليمن فاقبلا حاجين فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة فى البيت ففجر بها فى البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما بلصق الكعبة والآخر فى موضع زمزم فنقلت قريش الذى كان بلصق الكعبة الى الاخر فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب » وحكى ابن العربى عن ابن اسحاق « ان اسافا ونائلة بعد مسخهما وضع أحدهما على الصفا والآخر على المروة لينزجر الناس عن مثل ما ارتكبا فلم يزل الامر يدرس

---

(١) فى سيرة ابن هشام اساف بن بغى ونائلة بنت ديك . وفى الملل للشهرستانى اساف بن عمرو ونائلة بنت سهيل وفى الاغانى جزء ١٣ صفحة ١٠٥ عن عثمان بن ساج عن أبى الزناد اساف بن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذئب وقال غيره نائلة بنت ذئب

ويتقادم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحى أمر بعبادتهما وتعظيمهما والتمسح بهما . وقال : انهما كانا معبودين لمن قبلكم فلما كان قصى بن كلاب حولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما ملصقا بالكعبة وجعل الآخر فى موضع زمزم وكان يطرح بينهما ما يهدى للكعبة . وكان يسمى ذلك الموضع الحطيم وكان ينحر عندهما ويذبح ولم تكن تدنو منهما امرأة طمثت وفى ذلك يقول بشر بن أبى حازم الاسدى أسد خزيمة

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف

فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبدأ باساف ويستلمه فاذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها فكان كذلك حتى كسرهما رسول الله مع الاصنام يوم فتح مكة » وفى عتبة باب السلام الخارجية أحد أبواب المسجد الحرام حجر عظيم يشبه درجة سلم غير منتظم تطؤه النعال يقول أهل مكة انه اساف ذلك الصنم

الاسحم ـ صنم عبدته العرب (عن تاج العروس)

الاشهل ـ صنم وبه سمى عبد الاشهل أبو حى من العرب (عن تاج العروس)

الاقيصر ـ قال أبو المنذر هو صنم كان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان وكان فى مشارف الشام فكانوا يحجونه ويحلقون رءوسهم عنده فكان كلما حلق رجل منهم رأسه القى مع كل شعرة قرة من دقيق ـ والقرة القبضة ـ فكانت هوازن تنتابهم فى ذلك الابان فان أدركها حدهم قبل أن يلقى القرة مع الشعر قال : أعطنيه فانى من هوازن ضارع وان فاته أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله » وفى الاقيصر يقول زهير بن أبى سلمى حلفت بأنصاب الاقيصر جاهدا وما سحقت فيه المقاديم والقمل

أوال ـ صنم لبكر وتغلب (عن تاج العروس)

باجر ـ بالجيم المفتوحة وربما كسرت صنم كان للازد ومن جاورهم من طيئ وقضاعة

البجة ـ صنم عبدته العرب (عن تاج العروس)

بس ـ بيت لغطفان (انظر صفحة ٣٣)

بعل ـ صنم كان لقوم الياس عليه السلام (عن احمد فارس)

البعيم ـ صنم (عن تاج العروس)

بلج ـ صنم (عن تاج العروس)

بوانة ـ صنم عبدوه . روى عن أم أيمن انهم كانوا فى الجاهلية يجعلون لهم عيدا عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوماً الى الليل فى كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك . قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يامحمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعا مرعوبا فقلن ما دهاك فقال : انى أخشى أن يكون بى لمم (جمع) لمة وهى المس من الشيطان فقلن ماكان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير مافيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض يصيح بى وراءك يامحمد لا تمسه قالت أم أيمن فما عاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم وتلك احدى ارهاصاته

تيم ـ صنم كانت تعبده بنو تميم فى الجاهلية قال أبو عبيدة تيم كلها كانت فى الجاهلية يقال لها عبد تيم (عن الاغانى)

الجبهة ـ صنم كان يعبد فى الجاهلية (عن تاج العروس)

جريش ـ كأمير صنم عبد فى الجاهلية واليه نسب عبد جريش والد عبد قيس (عن تاج العروس)

الجلسد ـ صنم عبد فى الجاهلية كما فى المخصص لابن خيذه قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما بيقر من يمشى الى الجلسد(١)

(١) الشقارى شقائق النعمان وبيقر أسرع مطأطئا رأسه

جهار ـ صنم كان لهوازن (عن تاج العروس)

الدار ـ صنم سمى به عبد الدار بن قصى بن كلاب أبو بطن من العرب (عن تاج العروس).

دوار ـ قال البغدادى فى خزانة الادب « دوار بالفتح صنم كانوا يدورون حوله أسابيع كما يطاف بالبيت الحرام قال امرؤ القيس

فعن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيل (١)

يقول ان هـذا القطيع من البقر يلوذ بعضه ببعض ويدور كما تدور العذارى حول دوار وهو نسك كانوا فى الجاهليـة يدورون حوله . وقال العسكرى فى التصحيف ويروى دوار بدال مضمومة ودوار بدال مفتوحة وواو مخففة (٢) وهو نسك كان لهم فى الجاهلية يدار حوله » ويطلق الدوار على الطواف قال أبو المنذر « وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون بها ويعترون عندها يسمونها الانصاب ويسمون الطواف بها الدوار وفى ذلك يقول عامر بن الطفيل وأتى غنى بن أعصر يوماً وهم يطوفون بنصب لهم فرأى فى فتياتهم جمالا وهن يطفن به فقال :

ألا ياليت اخوالى غنيا عليهم كلما أمسوا دوار

وقال فى ذلك المثقب العبدى لعمرو بن هند

يطيف بنصبهم حجن صغار فقد كادت حواجبهم تشيب (٣)

ذو الخلصة ـ بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة (٤) بيت لخثعم كان يدعى الكعبة اليمانية وكان فيه صنم يدعى الخلصة وقيـل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة . وحكى المبرد ان موضع ذى الخلصة صار مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم وقال ابو المنذر « ان ذا الخلصة

---

(١) السرب قطيـع من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا و (الملاء) بضم الميم جمع ملاءة وهى الملحفة و (المذيل) السابـغ (٢) فى القاموس الدوار ككتان وبضم صم ويخفف (٣) حجن صبيان (٤) حكى فيه فتح أوله إسكان ثانيه أو ضمه أو ضمهما

كان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنو امامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوزان ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة وفيها يقول خداش بن زهير العامرى لعثعث (١) بن وحشى فى عهد كان بينهم فغدر بهم

وذكرته بالله بينى وبينه ... وما بيننا من مدة (٢) لو تذكرا

وبالمروة البيضاء يوم تبالة ... ومحبسة النعمان حيث تنصرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها قدم عليه جرير بن عبد الله مسلما فقال له يا جرير ألا تكفينى ذا الخلصة فقال بلى فوجهه اليه فخرج حتى أتى بنى أحمس من بجيلة فسار بهم اليه فقاتلته خثعم وباهلة دونه فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل وأكثر القتل فى خثعم وقتل مائتين من بنى قحافة بن عامر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار فاحترق. وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخلصة يعبدونه كما كانوا يعبدونه» وكان يحج اليه ويهدى له روى العباس أحمد بن يحيى ثعلب ان المنتشر بن وهب الباهلى خرج يريد حج ذى الخلصة ومعه غلمة من قومه وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث ابن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذا الخلصة اهدى له هديا يتحرم به ممن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدى فسار وانذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر رجلا منهم يقال له هند بن اسماء ابن زنباع فسأله ان يفدى نفسه فأبطأ عليه فقطع أنمله ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد أمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعا والهى لا أؤمنه ثم قتل فرثاه أخوه لامه اعشى باهلة بقصيدته التى يقول فى مطلعها

---

(١) خزانة الادب للبغدادى لعقبة (٢) رواية خزانة الادب من هذه

انى أتتنى لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر (١)

الى أن قال

أصبت فى حرم منا أخا ثقة هند بن أسماء لا يهنى لك الظفر

خاطب قاتل المنتشر بقوله أصبت منا أخا ثقة فى حرم وهو حرم ذى الخلصة وروى البخارى بسنده عن جرير قال كان بيت فى الجاهلية يقال له ذو الخلصة والكعبة اليمانية والكعبة الشآمية فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم ألا تريحنى من ذى الخلصة فنفرت فى مائة وخمسين راكبا فكسرناه واستشكله بعض المحدثين بان معناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى واجاب عنه السهيلى بان الحديث فى جامع البخارى بزيادة له كما فى صحيح مسلم وليست له بمزيدة سهوا اذ المعنى كان يقال له أى يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة وهو الكعبة اليمانية وله بمعنى من أجله لا تنكر كما قال ابن أبى ربيعة

وقمير من آخر الليل قد لا ح له قالت الفتاتان قوما

ذو الشرى — صنم كان لبنى الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد

ذو الكعبات — بيت كان لربيعة كانوا يطوفون به كما فى تاج العروس وكان بسنداد وفيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الشرفات من سنداد

ذو الكفين — صنم كان لبنى منهب بن دوس فلما أسلموا بعث النبى عليه الصلاة والسلام الطفيل بن عمرو الدوسى فجعل يلقى النار فى وجهه ويحرقه ويقول

ياذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أكبر من ميلادكا

انى حشوت النار فى فؤادكا

الربة — اللات وكعبة كانت بنجران لمذحج وبنى الحارث بن كعب (عن تاج العروس)

---

(١) اللسان الرسالة واراد بها نعى المنتشر و (سخر) بضمتين أى اتانى رسالة من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة

رضاء — بيت لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب حين هدمها فى الاسلام

ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها قفرا بقاع اسحما
وأعان عبد الله فى مكروهها وبمثل عبدالله أغشى المحرما

رئام — هو بيت كان بصنعاء لحمير وأهل اليمن يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه فيما يذكرون فلما انصرف تبع من مسيره الذى سار فيه الى العراق قدم معه الحبران اللذان صحباه من المدينة فأمراه بهدم رئام وقالا انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه قال شأنكما فنشر التوراة وجعلا يقرآنها وهدماه .قال ابن اسحاق فبقاياه اليوم كما ذكر لى بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه

السحة — صنم كما فى القاموس

سعد — قال أبو المنذر هو صنم كان لبنى مالك وملكان ابنى كنانة ومكانه بساحل جدة وتلك الناحية وكان سعد صخرة طويلة فأقبل رجل من بنى ملكان بأبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فلما أدناها منه ورأته وكان يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت فى كل وجه فغضب ربها فتناول حجرا فرماه به وقال لا بارك الله فيك الها أنفرت على ابلى ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ثم انصرف وهو يقول

اتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الارض لايدعو لغى ولا رشد

سعد — صنم أيضا كان لمذحج (عن احمد فارس)

سعد — صنم أيضا كانت تعبده هذيل (عن المخصص)

السعيدة — بيت بنى بجبل أحد كانت تحجه ربيعة فى الجاهلية (عن المخصص)

سعير — بصيغة التصغير صنم كان لعنزة قال ابو المنذر خرج جعفر بن أبى خلاس الكلبي على ناقته فمر به وقد عترت عنزة عنده فنفرت ناقته منه

فأنشأ يقول

نفرت قلوصى من عتائر صرعت حول السعير يزوره ابنا يقدم(١)

وجموع يذكر مهطعين جنا به ما ان يحير اليهم بتكلم

سواع — قال ابو المنذر وكان أول من اتخذ تلك الاصنام من ولد اسماعيل وغيرهم وسموها باسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل هذيلُ بن مُدْركة (٢) اتخذوا سواعا وذلك ان عمرو بن لحى دفع للحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان لهم

(١) يقدم ويذكر ابنا عنزة رأى الشاعر بنى هؤلاء يطوفون حول السعير

(٢) مقتضاه ان ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا هى غير ما عبده قوم نوح بل مطابقة لها فى الاسم وفى المستطرف انها اصنام قوم نوح لقوله واما يغوث ويعوق ونسر . فقيل انهم كانوا اولاد آدم عليه السلام وكانوا اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فأرادوا أن يصوروا صورته ليذكروه اذا نظروه فصوروه من صفر ونحاس وجعلوه فى مؤخر المسجد كراهة ان يكون فى قبلته ثم مات آخر ففعلوا به ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها . ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها التراب زمنا طويلا ثم أخرجها مشركو العرب فعبدوها . وذكر الواحدى فى الوسيط ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها فعبدوها ومقتضاه أن تكون هذه الاصنام تماثيل أنسانية لكن نقل الواقدى ان ودا كان على صورة رجل وسواعا على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسرا على صورة نسر وهذا يصحح ماذكره أبو المنذر وابن اسحق من أن الاصنام المذكورة ليست هى الاصنام التى عبدها قوم نوح وانما سميت باسمائها

برهاط من أرض يَذبُع يعبده من يليه من مضر بن نزار وكانت سَدنته بنى لحيان وكانوا يحجون اليه وينحرون عنده ويعكفون عليه وفى ذلك يقول الشاعر

تراهم حول قبلتهم عكوفا كما عكفت هذيل على سواع
تظل جنا به صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راع

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمه عمرو بن العاص قال عمرو فلما انتهيت اليه وعنده السادن فقال ماتريد فقلت أمرنى رسول الله أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع أو يبصر قال فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

الشارق ـ صنم كانت تعبده هذيل وبه سمى عبد الشارق (عن تاج العروس)

شمس ـ صنم قديم كان فى الجاهلية وبه سمى عبد شمس وهو بطن من قريش وأول من تسمى به سبأ بن يشجب (عن تاج العروس)

ضمار (١) ـ صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه (سيرة ابن هشام)

الضيزن ـ صنم كان يعبد من دون الله فى الجاهلية (عن المخصص)

الضيزنان ـ صنمان كانا للمنذر الاكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة (عن المخصص)

عائم ـ بالهمز صنم كان لازد السراة وأقسم زيد الخير به فقال

تخبر من لاقيت ان قد هزمتهم ولم تدر ما سيماهم لاوعائم

عبدة مرحب ـ صنم كان بحضرموت

عمبعب ـ بالعين المهملة ويقال بالمعجمة صنم كانت قضاعة تعبده (عن المخصص)

العزى ـ صنم عبدته العرب واتخذ عليه بيت قال ابو المنذر (وهى

(١) قال السهيلى ضمار بكسر الراء مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل هذا البناء الا فى أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم اناثا كاللات والعزى ومناة لاعتقادهم الخبيث فى الملائكة انها بنات

أحدث من اللات ومناة وذلك انى سمعت العرب سمت بهما قبل العزى فوجدت تميم بن مر سمى ابنه زيد مناة بن تميم بن مر بن ادبن طابخة وعبد مناة ابن اد وباسم اللات سمى ثعلبة بن عكابة ابنه تيم اللات وتيم اللات بن رفيدة ابن ثور وزيد اللات بن رفيدة بن ثور بن وبرة بن مر بن أد بن طابخة وتيم اللات بن النمر بن قاسط وعبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فهى أحدث من الاوليين . وعبد العزى بن كعب من أقدم ماسمت به العرب وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد (١) وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حُراض بازاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال فبنى عليها بيتا وكانوا يسمعون فيه الصوت وكانت العرب وقريش تسمى بها وكانت أعظم الاصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويتقربون عندها بالذبائح وكانت قريش قد حمتها شعبا من وادى حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة فذاك قول ابى جندب الهذلى فى حلف امرأة كان يهواها بها

لقد حلفت جهدا يمينا غليظة بفرع التى أحمت فروع سقام

وكان لها منحر ينحرون فيه هداياها يقال له الغبغب (٢) وفيه يقول نهيكة الفزارى لعامر بن الطفيل

ياعام لوقدرت عليك رماحنا والراقصات الى منى فالغبغب

وكانت قريش تخصها بالاعظام فلذلك يقول زيد بن عمرو بن نفيل وكان قد تأله فى الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الاصنام

تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الصبور
فلا العزى ادين ولا ابنتيها (٣) ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلا أزور وكان ربا لنا فى الدهر اذ حلمى صغير

---

(١) ننقل عن ابن العربى عند الكلام على اللات ان اول من دعا لعبادة العزى عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب (٢) قال السهيلى الغبغب هو المنحر ومراق الدم كأنه سمى بحكاية صوت الدم عند انبعاثه (٣) رواية ولا ابتغيها

وكان سدنة العزى بنو شيبـان بن جابر بن مرة من بنى سليم وكان آخر من سدنها منهم دبيّة بن حرمى السلمى . فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه فعابها وغيرها من الاصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش ومرض أبو أحيحة مرضه الذى مات فيه فدخل عليـه أبو لهب يعوده فوجده يبكي فقال مايبكيك ياأبا أحيحة أمن الموت تبكى ولا بد منه قال لا ولكنى أخاف ألا تعبد العزى بعـدى قال أبو لهب والله ما عبدت حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك فقال أبو أحيحة الآن علمت ان لى خليفة . وأعجبه شدة نصبه فى عبادتها فلمـا كان يوم الفتح دعا النبي خالد بن الوليد فقال انطلق الى شجرة ببطن نخلة فاعضدها فانطلق فقتل دبية سادنها)وذكر ابن هشام انها كانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر فلما علم سادنها السلمى بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول

اياعز شدى شدة لاتوى بها (١) على خالد القى القناع وشمرى
فانك الا تقتـلى اليوم خالدا فبوئى بذل عاجـلا وتنصرى

فلما انتهى اليها خالد هدمهـا وقال بعضهم ان خالدا حمـل على العزى وهو يقول

يا عز كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد أهانك

ثم قتل دبية السادن وقطع الشجرة وكان من سدنتها أفلح بن النضر السليمى من بنى سليم حكى سعيد بن عمرو الهـذلى ان أفلح سادنها لما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعوده وهو حزين فقال مالى أراك حزينا قال أخاف ان تضيع العزى بعدى فقال له لاتحزن فانى أقوم عليها بعدك . فجعـل أبو لهب يقول لكل من لقى أن تظهر العزى كنت قد أخذت عندها يدا وان يظهر محمد على العزى وما أراه يظهر فابن أخى . فانزل الله تعالى (تبت يدا أبى لهب) وروى ابن العربي من حديث أبى الوليد ان سدنة العزى بنو شيبان بن سليم حلفاء

(١) روايه خزانة الادب : عزاى شدى شدة لاتكذبى .

بنى هاشم . وكانت قريش وبنو كنانة وخزاعة وجميع مضر تعظمها فاذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى ياتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويعكفون عندها يوما وقال أبو المنذر (ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئاً من الاصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وذلك فيما أظن لقربها منها وكانت ثقيف تخص اللات بخاصة قريش العزى وكانت الاوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين وكلهم كان معظما للعزى ولم يكونوا يرون فى الخمسة الاصنام التى دفعها عمرو بن لحى وهى التى ذكرها الله تعالى فى القرآن المجيد حيث قال (ولا تذرون ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق ونسرا) كرأيهم فى هذه ولا قريبا من ذلك فظننت ان ذلك كان لبعدها منهم وكانت قريش تعظمها وكانت غنى وباهلة يعبدونها معهم » وروى ابن العربى بسنده عن ابن عباس ان خالد بن الوليد بعد أن هدم العزى رجع الى رسول الله . وقال الحمد لله الذى أكرمنا بك يارسول الله وأنقذنا من الهلكة لقد كنت أرى أبى يأتى العزى بخير ماله من الابل والغنم فيذبحها للعزى ويقيم عندها ثلاثا ثم ينصرف الينا مسرورا فنظرت الى مامات أبى عليه والى ذلك الرأى الذى كان يعيش فى فضله حتى يذبح لما لايسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . فقال رسول الله ان هذا الأمر الى الله فمن يسره للهدى تيسر له ومن يسره للضلالة كان لها . وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان وجاء حسان بن ثابت الانصارى الى رسول الله وهو فى المسجد فقال يارسول الله ائذن لى أقول فانى لا أقول الا حقا فقال قل فانشأ يقول

شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذى فوق السموات من عل

فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد فقال حسان

وان ابا يحيى ويحيى كليهما له عمل فى دينه متقبل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان الذى عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذى العرش مرسل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان أخا الاحقاف اذ يعذلونه يجاهد فى ذات الاله ويعدل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان التى بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فل عن الحق معزل (١)

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد قال سفيان يعنى العزى

عميانس (٢) — قال أبو المنذر وكان لخولان صنم يقال له (عميانس) بارض خولان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله تعالى بزعمهم فما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه وما دخل فى حق الصنم من حق الله الذى سموه له تركوه . ووهم اليعمرى فى عيون الاثر وابن هشام فى سيرته فسمياه « عم انس » وقد تبعهما احمد البدوى الشنقيطى فى كتابه عمود النسب فقال بعد ذكر خولان

أضاهم صنمهم عم أنس كانوا اذا ما الغيث عنهم احتبس

توسلوا اليه بالذبائح فامطروا وأعظم القبائح

ان جعلوا له ولله نصيب من مالهم وان تغيب النصيب

أعطى للصنم حظ الله وحظه لم يعط للاله

ومن حديث هذا الصنم أن النبى عليه السلام قال لخولان ما أعظم ما رأيتم من فتنته قالوا له يارسول الله لقد رأيتنا وقد اسنتنا حتى أكلنا الرمة وهلكت ثاغيتنا وراغيتنا وحافرنا فقلنا قربوا لعميانس قربانا يشفع لكم فتغاثوا فتعاونا فجمعنا ماقدرنا عليه من عين مالنا ثم ذهب ذاهبنا فابتاع مائة ثور ثم حشرها علينا فنحرناها فى غداة واحدة وتركناها للسباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا . فأى فتنة أعظم من هذه فلقد رأينا الغيث يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عميانس وسألوه عليه السلام عما قسموا

---

(١) قال هشام الفلّ من الارض المجدبة التى لاخير فيها ولا بركة فشبهها بذلك

(٢) فى القاموس عميانس بالضم والياء المثناة تحت بعدها الف ونون صنم لخولان

له من مالهم فذكر لهم ان الله أنزل عليه فى ذلك « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله . وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » وفى سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق ان ذلك الصنم كان لبطن من خولان يقال لهم الاديم .

عوض — ذكر ابن هشام ان ابن الكلبى لم يذكره فى كتاب الاصنام وقال عوض اسم صنم كان لبكر بن وائل وفيه يقول رشيد بن رميض بالتصغير فيهما العنزى

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

حلف بالانصاب التى حول السعير وبالدماء الجاريات حوله وكانوا يذبحون للاصنام (عن البغدادى فى خزانة الادب)

العوف — صنم (عن القاموس)

غبغب — انظر عبعب

غمدان — بيت غمدان بناه الضحاك بمدينة صنعاء اليمن على اسم الزهرة وخربه عثمان ذو النورين (عن الملل والنحل للشهرستانى)

الفلس — قال أبو المنذر . وكان لطيئ صنم يقال الفلس وكان انقاً أحمر فى وسط جبلهم الذى يقال له أجأ اسود كانه تمثال انسان . وكانوا يعبدونه ويهدون اليه ويعتمرون عنده عتائرهم ولا يأتيه خائف الا أمن عنده ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت له ولم تخفر حويته (١) وكانت سدنته بنو بولان وهو الذى بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صيفى فأطرد ناقة خلية (٢) لامرأة من كلب من بنى عليم وكانت جارة لمالك ابن كلثوم الشمجى وكان شريفاً فانطلق بها حتى وقفها بفناء الفلس . وخرجت جارة مالك فاخبرته بذهابه بناقتها فركب فرساً عرياً وأخذ رمحه وخرج فى

(١) الحوية كغنية استدارة كل شئ — والمعنى ان ماصار فى حرمه يترك له

(٢) الخلية من معانيها الناقة التى تنتج وهى غزيرة فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هى للحلب

أثره فأدركه وهو عند الفلس والناقة موقوفة عند الفلس فقال له خل سبيل ناقة جارتى . فقال انها لربك . قال : خل سبيلها قال أتخفر الهك فبوأ له الرمح(١) فخل عقالها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفلس ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده اليه

يارب ان مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بناب عـلكوم(٢)
وكنت قبل اليوم غير مغشوم

يحرضه عليه وعدىّ بن حاتم يومئذ قد عتر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدىّ بن حاتم وقال انظروا مايصيبه فى يومه هذا فمضت له أيام لم يصبه شئ فرفض عدىّ عبادته وعبادة الاصنام وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الله بالاسلام فاسلم فكان مالك أول من أخفره فكان بعد ذلك السادن اذا أطرد طريدة أخذت منه فلم يزل الفلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبى عليه السلام فبعث اليه على بن أبى طالب فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان قلده اياهما يقال لهما مخذم ورسوب فقدم بهما على بن أبى طالب على النبى صلى الله عليه وسلم فتقلد أحدهما ثم دفعه الى على بن أبى طالب فهو سيفه الذى كان يتقلده

القليس ـ كنيسة بناها أبرهة الاشرم (انظر صفحة ١٣٤)

القيس ـ صنم لم يذكره ابن الكلبى وبه سمى امرؤ القيس أى رجل ذلك الصنم ولذلك كان الاصمعى يكره أن يروى قوله فى معلقته ـ عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل ـ فكان يقول يا مرأ الله

كثرى ـ صنم لجديس وطسم كسره نهشل الربيش بن عرعرة ولحق بالنبى عليه الصلاة والسلام فأسلم وكتب له كتاباً وقال عمرو بن صخر بن اشنم

حلفت بكثرى حلفة غير برة لتستابن أثواب قيس بن عازب

الكسعة ـ صنم عبدوه فى الجاهلية (عن تاج العروس)

---

(١) بوأ الرمح نحوه قابله به (٢) أخفره نقض عهده وغدره و(الناب) الناقة المسنة و(العلكوم) الشديدة

الكعبة ـ هى بيت الله الحرام وهو أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين بناه بالوحى الالهى ابراهيم واسماعيل قال الشهرستانى وكذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل بناه البانى الاول على طوالع معلومة واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البناء الاول كان مستندا الى الوحى على يدى أصحاب الوحى

كعبة نجران . كانت لبنى الحارث . قال أبو الفرج الاصفهانى انها بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران . وكان فيها أساقفة يقيمون وهم الذين جاءوا الى النبى ودعاهم الى المباهلة . وقيل انها قبة من ثلاثمائة جلد لعبد المسيح بن دارس بن عدى وسمتها العرب كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . فكان اذا نزل بها مستجير اجير أو خائف أمن أو مسترفد اعطى ماطلب أو جائع شبع أو طالب حاجة قضيت وفيها يقول الاعشى يخاطب ناقته

فكعبة نجران حتم عليـ ك حتى تناخى بأبوابها
نزور يزيد وعبد المسيح وقيساهمو خير أربابها

قال أبو المنذر « وكان لبنى الحارث بن كعب كعبة بنجران يعظمونها وهى التى ذكرها الاعشى وقد زعموا انها لم تكن كعبة عبادة وانما كانت غرفة لاولئك القوم الذين ذكرهم وما أشبه ذلك عندى بان يكون كذلك لانى لا أسمع بنى الحارث تسموا بها فى شعر وكان لاياد كعبة أخرى بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة فى الظهر وهى التى ذكرها الاسود بن يعفر(١) وقد سمعت ان هذا البيت لم يكن بيت عبادة انما كان منزلا شريفا فذكره»

كعيب وامرأته ـ صنمان لم يذكرهما ابن الكلبى كانا فى كنيسة القليس وكان كعيب خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعا وكانت امرأته

(١) قول الاسود بن يعفر المشار اليه هو

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد

خشبة من السّاج مثلها فى الطول وكانوا يتبركون بهما فى الجاهلية

اللات - صخرة بالطائف اتخذالعرب عليها بيتا قال أبو المنذر وهى أحدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السويق وكان سدنتها من ثقيف بنو عتاب (١) بن مالك وكانوا قد بنوا أمامها بناء وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم وهى التى ذكرها الله فى القرآن فقال (افرأيتم اللات والعزى) وفيها يقول عمرو بن الجعيد

فانى وتركى وصل كأس لكالذى تبرأ من لات وكان يدينها

وقال السهيلى « ان عمرو بن لحى هو اللات الذى يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذى يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل فى الصخرة ثم أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات . ودام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء واتخذ صنما يعبد» وحكى ابن العربى من حديث أبى الوليد بسنده عن ابن عباس قال : « ان رجلا ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج اذا مر يلت سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فلما فقده الناس قال لهم عمرو ان ربكم اللات قد دخل فى جوف الصخرة . وكانت العزى ثلاث شجرات نخل وكان أول من دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحرث بن كعب وقال لهم عمرو ان ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشتى بالعزى لحرتها مة فبنوا على صخرته بيتا يعبده أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى ويطوفون حوله ويسمونه الربة يضاهون به بيت الله الحرام بمكة» ولهدمه خبر مفصل وهو انه لما قدم وفد ثقيف على رسول الله بعد فتح مكة للصلح لتيقنهم الا طاقة لهم بقتاله وهم بضعة عشر رجلا من أشرافهم فيهم كنانة وعبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وصاحب أمرهم فعرض عليهم النبى الاسلام

(١) جعل ابن اسحاق سدنتها بنى معتب

فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نغترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام . قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رءوس أموالكم . قالوا فالخمر فانها عصير أرضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلا عليهم بذلك كله قرآنا قالوا أرأيت الربة ماذا نصنع فيها . قال اهدمنها . قالوا هيهات لو تعلم الربة انك تريد هدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب ويحك ياعبدياليل ما أحمقك انما الربة حجر قالوا انا لم نأتك يابن الخطاب ثم قالوا يارسول الله تول أنت هدمها فاما نحن فلا نهدمها أبداً . فقال سأبعث من يكفيكم هدمها فرجعوا الى بلادهم وبعث رسول الله سرية منهم أبو سفيان بن حرب ومنهم المغيرة ابن شعبة وأمر عليهم خالد بن الوليد فلما قدموا عليهم عمدوا الى اللات ليهدموها وأنكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال وهم لايرون انها تهدم ويظنون انها ستمتنع فاخذ المغيرة بن شعبة فأساً كبيرة وقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف قالوا بلى فضرب بالمعول ضربة ثم صاح وخر مغشيا على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سرورا بان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يامغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها . من شاء منكم فليقترب وليجدّ على هدمها فوالله لا تستطاع ابدا . فوثب المغيرة يضحك منهم ويقول والله يامعشر ثقيف ماقصدت الا الهزء بكم انما هي لكاع حجارة ومدر ثم ضرب الباب فكسره ثم علوا سورها فما زالوا يهدمونها حتى سووها بالارض . وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها فحفروه حتى أخرجوا ترابها وحرقها بالنار ثم أخذوا حليها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله فقسمه من يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وروى ان المغيرة لما قام يهدمها قام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب . وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع (١) لم يحسنوا المصاع (٢)

وفى اللات يقول كعب بن مالك الانصارى من قصيدة

وننسى اللات والعزى وودا ونسلبها القلائد والشنوفا

ويقول شداد بن عارض الجشمى ينهى ثقيفا عن العود اليها

لاتنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر

ان التى حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

المحرق ـ صنم لبكر بن وائل كان بسلمان (عن تاج العروس)

المدان ـ صنم وبه سمى عبد المدان وهو أبو قبيلة (عن تاج العروس)

مرحب ـ صنم كان بحضرموت اليمن وذو مرحب ربيعة بن معديكرب كان سادنه اى حافظه (عن تاج العروس)

مناة ـ صنم من أصنامهم قدم به عمرو بن لحى من البلقاء من أرض الشام الى مكة ونصبه حول الكعبة . قال أبو المنذر . ان العرب دانت للاصنام واتخذوها فكان أقدمها كلها مناة وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة . وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المراضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له . وكان أولاد معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ولم يكن أحد أشد اعظاما له من الاوس والخزرج ومناة هى التى ذكرها الله تعالى فى قوله ومناة الثالثة الاخرى (٣) وكانت لهذيل وخزاعة وكانت قريش

(١) اى اسلمها اللئام (٢) فى رواية اذكر هوا المصاع ـ والمصاع القتال

(٣) قال السهيلى مناة وزنه فعلة من منيت الدم وغيره اذا صببته لان الدماء كانت تمنى عنده تقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وجعلها ثالثة اللات والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التى كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من قومه فهما مناتان واحداهما غير الاخرى بالاضافة الى صاحبتها

وجميع العرب تعظمه فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليا (١) اليها فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبي صلى الله عليه وسلم . وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهداهما اسم أحدهما مخزم والآخر رسوب وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره فقال

مظاهر سربالى حديد عليهما عقيلا سيوف مخذم ورسوب

فوهبهما لعلى . فيقال ان ذا الفقار سيف على أحدهما. ويقال ان عليا وجدهما فى الفلس صنم لطيئ حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لهدمه وكانت الاوس والخزرج يخصونها دون غيرها بالزيارة والهدية »

وروى ابن العربى عن ابن اسحاق ان عمرو بن لحى نصب مناة على ساحل البحر مما يلى قديد وكانت الازد وغسان يحجونها ويعظمونها . فاذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة . وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين

مناف ـ صنم به سمى عبد مناف قال أبو المنذر ولا أدرى أين كان ولا من نصبه

منهب ـ صنم ذكره الجاحظ فى التربيع والتدوير

نائلة ـ صنم (انظر أساف)

نسر ـ صنم قال أبو المنذر واجابت عمرو بن لحى حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معد يكرب نسرا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم أسمع حمير سميت به أحدا ولم أسمع له ذكرا فى أشعارها وأشعار العرب وأظن ذلك كان لانتقال حمير عن عبادة الاصنام الى اليهودية »

---

(١) فى قول آخر ان النبى بعث لهدمها أبا سفيان بن حرب فهدمها وذكر القولان ابن هشام

(وأقول) ذكره فى الشعر عمرو بن عبد الجن الجاهلى فقال

اما والدماء المائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عند ما

نصر - صنم (عن المخصص)

نهم - صنم عبدته مزينه وبه سمت عبدنهم وكان سادنه خزاعى بن عبد نهم من مزينة فلما سمع ببعثة رسول الله شرح الله صدره للاسلام فكسر صنمه وانشأ يقول

ذهبت الى نهم لاذبح عنده عتيرة نسك كالذى كنت أفعل

فقلت لنفسى حين راجعت عقلها أهذا إله أبكم ليس يعقل

أبيت فديني اليوم دين محمد اله السماء الماجد المتفضل

ثم لحق بالنبي فأسلم وضمن اسلام قومه مزينة

هبل - كان من أعظم الاصنام عند قريش وكان من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب . وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هُبل خزيمة ذكر ذلك أبو المنذر وحكى ابن هشام أن هبل قدم به عمرو بن لحى من مأرب فنصبه فى مكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه واختلف فى موضعه فالشهرستانى ذهب الى انه كان على ظهر الكعبة وابن اسحاق ذهب الى انه كان عند البئر التى كانت فى جوف الكعبة على يمين من دخلها . وكان عمقها ثلاث أذرع حفرها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ليحفظ فيها ما يهدى الى الكعبة . وكانت تسمى الاخسف وكان قدامه سبعة أقدح يضربونها عنده اذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو عملا فما خرج عملوا به وانتهوا اليه

ود - صنم عبدته كلب بدومة الجندل قال أبو المنذر « ان عمرو بن لحى أتى شط جده فاستثار الاصنام ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها فاطبة فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدفع اليه ودا فحمله الى وادى القرى فأقره بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول

من سمى به ثم سمت العرب به بعد وجعل عوف ابنه عامرا الذى يقال له عباء الاجدار سادنا له فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالاسلام . قال الكلبى فحدثنى مالك بن حارثة الاجدارى انه رأى ودا قال وكان أبى يبعثنى باللبن اليه فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذاذا وكان رسول الله بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه فخلت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر الاجدار فقاتلهم حتى قتلهم وهدمه وكسره قال الكلبى فقلت لمالك بن حارثة صف لى ودا حتى كانى أنظر اليه قال كان تمثال رجل كاعظم مايكون من الرجال قد ذبر عليه (١) حلتان متزر بحلة ومرتد بأخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة(٢) فيها نبل » وفى ود يقول الشاعر

حياك ود فانا لايحل لنا ... لهو النساء وان الدين قد عزما

ودع ـ صنم (عن المخصص)

ياليل ـ وزن هابيل صنم سمت العرب به عبد ياليل (عن تاج العروس)

اليعبوب ـ كان لجديلة طيئ صنم فأخذته منهم بنو أسد فاتخذوا بعده اليعبوب صنما عبدوه فلذلك قال عبيد

فتبدلوا اليعبوب بعد الههم ... صنما فقروا ياجديل وأعذبوا

أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا

يعوق ـ صنم قال أبو المنذر (وأجابت عمرو بن لحى همدان فدفع الى مالك ابن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق فاتخذته خيوان فكان بقرية يقال لها خيوان(٣) من صنعاء على ليلتين مما يلى مكة تعبده همدان ومن والاها من أرض اليمن ولم أسمع همدان سمت به ولا غيرها من العرب ولم أسمع لها أو لغيرها فيه شعرا وأظن ذلك لانهم قربوا من صنعاء واختلطوا بحمير فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذو نواس فتهودوا معه)

(١) رواية زبر أى نقش (٢) الوفضة الجعبة (٣) خيوان بطن من همدان كما فى ابن هشام

أقول قد ذكره فى الشعر مالك بن نمط الهمدانى فى قوله :

يريش الله فى الدنيا ويبرى ولا يبرى يعوق ولا يريش(١)

يغوث ـ صنم ـ قال أبو المنذر اتخذته مذحج وأهل جرش وفيه يقول الشاعر

وساربنا يغوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح

ودفعه عمرو بن لحى الى أنعم بن عمرو المرادى فكان بأكمة باليمن يقال لها مذحج تعبده مذحج ومن والاها

﴿ كثرة الاصنام ﴾

ليس فى الاستطاعة حصر أصنامهم فى الجاهلية فكثرتها تتجاوز العد . وقد كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة كثير حكى الزمخشرى انه كان حولها ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحيالهم . ولما دخل رسول الله يوم فتح مكة المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن بسية قوسه (٢) فى عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بها فكفئت على وجوهها وارتقى على بن أبى طالب على منكبه الشريف حتى صعد الكعبة فقال له عليه السلام القى صنمهم الاكبر وكان من نحاس وقيل من زجاج وألقى كل ما عليها من الاصنام ولم يبق الا صنم خزاعة موتدا بأوتاد من حديد فما زال يعالجه حتى تمكن منه فقذفه فتكسر ثم أخرجت من المسجد فحرقت وفى تكسيرها يقول فضالة بن عمير ابن الملوح الليثى (٣)

قالت هلم الى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والاسلام

( ) يريش ويبرى من رشت السهم وبريته ثم استعير فى النفع والضر قال سويد

فرشنى بخير طالما قد بريتنى وخير الموالى من يريش ولا يبرى

(٢) سية القوس ماعطف من طرفها (٣) نسبها ابن الكلبى فى كتاب الاصنام لراشد بن عبد الله السلمى

أو ما رأيت محمداً وجنوده(١) بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا(٢) والشرك يغشى وجهه الاظلام

وقال تميم بن أسد الخزاعى

وفى الاصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

وأصنامهم سفرا وحضرا تجل عن الحصر أما فى الحضر فذكر ابن اسحاق ان أهل كل دار اتخذوا فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح بصنمه واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع اذا دخل منزله أن يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لعبادة الله وحده قالوا أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشئ عجاب . وأما فى السفر فكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها فاتخذه رباً وجعل الثلاثة اثافى لقدره واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك قال أبو المنذر «واستهترت العرب فى عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً ومنهم من اتخذ صنما ومن لم يقدر على اتخاذ صنم أو بناء بيت نصب حجراً اما من الحرم واما من غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الانصاب وسموا طوافهم الدوار» واتخذ كثير منهم فى داره صنما وكثيرا ما يسميه بأسم الصنم الذى تعبده القبيلة ويتخذه على مثاله ليتمكن من عبادته وهو فى داره حكى ابن هشام فى سيرته ان عمرو بن الجموح أحد سادات بنى سلمة وأشرافهم كان قد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون تتخذه الها تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان بنى سلمة كانوا يدلجون (٣) بالليل على صنمه فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا (٤) على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه

---

(١) رواية وقبيلة (٢) رواية نور الله أضحى ساطعاً (٣) أدلج سار أول الليل وادّلج سار آخر الليل وقيل الادلاج سير الليل كله (٤) الاصل ان معنى غدا عليه بكر ثم كثر حتى استعمل فى الذهاب والانطلاق فى أى وقت كان

ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لاخزينه فاذا أمسى و نام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له انى والله ما أعلم من يصنع بك ماترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى و نام عمرو غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكساً مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وقال حين أسلم يذكر صنمه وما أبصر من أمره

والله لو كنت إلها لم تكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن(١)
أف لمقاك الها مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن(٢)
الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين (٣)
هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مرتهن

ومثله فى ترك عبادة صنمه حين رآه عاجزا عن الدفاع عن نفسه غاوى بن ظالم فقد كان يأتى صنمه بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له أطعم وقيل انه كان سادنا له فجاء ثعلبان (وهو ذكر الثعالب) فأكل الخبز والزبد ثم بال على رأس الصنم فلما رأى ذلك غاوى بن ظالم تبين له الحق فقال

لقد خاب قوم أملوك لشدة أرادوا نزالا ان تكون تحارب
فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ولا أنت دفاع اذا حل نائب

---

(١) القرن الحبل (٢) مستدن من السدانة وهى خدمة البيت وتعظيمه و (الغبن) يكون فى الرأى يقال غبن رأيه بمعنى خسر نفسه وأوبقها (٣) قال السهيلى الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضا ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحل

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم ضرب الصنم فكسره وأتى النبي فآمن وسأله عليه الصلاة والسلام عن اسمه فقال غاوى بن ظالم . قال لا بل أنت راشد بن عبد ربه

(وكانوا) لا يتخذونها من مادة معينة . قال أبو رجاء العطاردى كنا نعبد الحجر فى الجاهلية فاذا وجدنا حجرا أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه فاذا لم نجد حجرا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به . وقال أيضا كنا نعمد الى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد الى الحجر الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه .

وقد اتخذت بنو حنيفة صنما من حيس فعبدوه دهراً طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه . وفيهم يقول الشاعر

أكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة

وقال رجل من بنى تميم

أكلت ربها حنيفة من جو ع قديم بها ومن أعواز

عبادة الاصنام وما يتقرب به لها

عبد أكثر العرب الاصنام لا لذاتها بل لتقربهم الى الله زلفى وتشفع لهم عنده روى انهم كانوا يقولون فى طوافهم بالكعبة واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فانهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فجعلوا عبادتها وسيلة لعبادته ولما كان ذلك من الشرك انكره الله تعالى عليهم فى غير ما آية من كتابه كما انكر عليهم اعتقادهم انها بنات الله فى قوله (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك اذن قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وما أسرع تزلزل هذه العقيدة عند مبدأ النظر فقد روى ان قريشا قالت قيضوا لابى بكر رجلا يأخذه فقيضوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو فى القوم فقال ياأبا بكر قم الى فقال الام تدعونى قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات

والعزى قال بنات الله قال فمن أمهم فسكت طلحة وقال لاصحابه أجيبوا صاحبكم فسكتوا فقال طلحة قم ياأبا بكر فانى أشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله (فكانوا) يعظمونها ويلبسونها أحسن الثياب وحلف الشنفرى بثياب الاقيصر فقال

وان امرأ اجار عمرا ورهطه على وأثواب الاقيصر يقنف

(وكانوا) يتقربون لها بالمناسك والمشاعر وحللوا لها وحرموا وسيبوا لها السوائب والبحائر (وكانوا) يحجون اليها فلذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجده عليه السلام والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان الله ضاعف أجر العبادة فيها (وكانوا) يطوفون بها تقربا اليها وشاهده قول امرىء القيس يشبه قطيعا من البقر يلوذ بعضه ببعض ويدور كما تدور العذارى حول الصنم دوار

فعن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار فى الملاء المذيل

(وكانوا) يسبحون ويهللون لها قال ربيع بن ضبع الفزارى

وانى والذى نعم الانام له حول الاقيصر تسبيح وتهليل

(وكانوا) يستقسمون عندها بالازلام (وكانوا) يجعلون لها نصيبا من انعامهم وحروثهم (وكانوا) يقفون لها الاوقاف ويهدونها أقواتهم يرجون بذلك الخير والبركة * روى نافع عن أبى نعيم قال : كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات

(وكانوا) يسمون أنفسهم باسماء مضافة اليها بالعبودية أو الاختصاص كعبد اللات وعبد العزى وامرئ القيس فغير النبى عليه الصلاة والسلام ما كان من أسماء أصحابه كذلك بعبد الله وعبد الرحمن و(كانوا) يقسمون بها فيقول الحالف واللات أو وهبل مثلا ويرون ان الحلف بها كذبا يستوجب نقصا فى الاموال والانفس والثمرات فلا يقدمون على ذلك . ويستحلف الاخصام بعضهم بعضا باسمائها فنهوا عن ذلك بقوله عليه السلام من حلف بغير الله فقد أشرك

و(كانوا) ينذرون لها النذور ومنها مولى السائبة وهو ماسيب نذرا للآلهة

فلا يمنع من ماء ولا كلأ وان كان رقيقا وأعتقه مالكه سائبة فلا يعقل عنه ولا يورث ولا ولاء عليه لاحد . وممن اعتق سائبة سالم مولى أبى حذيفة أعتقته قتيبة بنت يعار وقيل اسمها ثبيتة بنت يعار فانقطع سالم الى أبى حذيفة ابن عتبة بن ربيعة فتبناه فقيل سالم مولى أبى حذيفة

و(كانوا) يسجدون لها وينكسون رأسهم عندها قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما بيقر من يمشى الى الجلسد (١)

و(كانوا) يستعينون بها فى حوائجهم من شفاء المريض وغنى الفقير وغير ذلك فأوجب الله عليهم أن يقولوا فى صلاتهم (اياك نعبد واياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) و(كانوا) لا يمكنون الحيض من النساء من الدنو منها ولا التمسح بها انما كانت الحائض تقف ناحية منها قال بلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر وهو الشداخ الليثى

وقرن قد تركت الطير منه كمعتنز العوارك من مناف (٢)

و(كانوا) يجعلون لاصنامهم أعيادا وروينا حديث أم أيمن فى ذلك عند ذكر الصنم بوانة و (كانوا) يهدون لها الهدايا ويقربون لها القرابين فمنها (الفرع)وفسره الشافعى بأنه أول نتاج البهيمة كانوا يذبحونه ولا يملكونه لاحد رجاء البركة فى الام وكثرة نسلها وفسره أبو على القالى بأنه ذبح كان أهل الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويلبسون جلده سقباً آخر وفى المحكم الفرع أول نتاج الابل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لاصنامهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر وعن أبى مالك انه البكر ينحره الرجل للصنم اذا بلغت ابله مائة ويقال انه ذبح كانوا اذا بلغت الابل ما تمناه صاحبها ذبحوه وكذلك اذا بلغت ابله مائة يعتر منها بعير كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطلق الفرع أيضا على الطعام الذى يصنع لنتاج الابل كالخرس للولادة وقال الميدانى فى مجمع الامثال عند قولهم فى المثل (أول الصيد فرع) مانصه الفرع أول

---

(١) البيقرة أن يعدو الرجل منكسا رأسه و (الجلسد) صنم (٢) المعتنز المتنحى فى ناحية ـ و(مناف) صنم

ولد تنتجه الناقة كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول اذا تمت ابلى كذا نحرت أول نتيج منها و(كانوا) اذا أرادوا نحره زينوه وألبسوه ولذلك قال أوس بن حجر يذكر أزمة فى شدة البرد

وشبه الهيدب العباء من الاقـــوام سقباً مجللا فرعا (١)

وأفرع القوم اذا ذبحوا الفرع يقال أفرع اذا أراق الدم مأخوذ من الفرع ومنه قولهم للضبع اذ وقعت فى الغنم

أفرعت فى قراري كأنما ضراري أردت ياجعار (٢)

ومنها (العتيرة) بوزن عظيمة وهى كما قال أبو عبيد . ذبيحة كانوا يذبحونها فى الجاهلية فى رجب يتقربون بها لاصنامهم وهى الرجبية. ولغيره انهم كانوا ينذرون من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها فى رجب عتيرة . وفى الصحاح العتيرة هى أن الرجل كان يقول فى الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترت منها عتيرة فى رجب ونقل أبو داود تقييدها بالعشر الاول من رجب. وروى الحميدى انها الشاة التى تذبح عن أهل بيت فى رجب وسميت بذلك لذبحها وهو العتر . وفسرها النووى بانها ذبيحة كانوا يذبحونها فى العشر الاول من رجب ويسمونها الرجبية وفيها يقول النابغة الجعدى وكان من المعمرين

قالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الاوثان

وقد أبطلت الشريعة المطهرة كلا من الفرع والعتيرة لقوله عليه السلام فى الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة وهذا النهى محمول على ما اذا كان ذبحهما لطواغيتهم وآلهتهم كما كانوا يصنعون فى الجاهلية أما اذا لم يقصد بذبحهما غير وجه الله تعالى فلا حظر فيه وعليه يحمل ما رواه البيهقى بسنده عن الحارث بن عمر قال أتيت النبى بعرفات أو قال بمنى وسأله رجل عن العتيرة فقال من شاء عتر ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع ولكنهم نهوا عن تخصيص ذبح العتيرة فى رجب لحديث ان رجلا نادى رسول الله

---

(١) الهيدب الغبى الثقيل و(العباء) العيى الثقيل و(السقب) الذكر من ولد الناقة ساعة يولد (٢) القرار الغنم و(جعار) كقطام الضبع

انا كنا نعتر عتيرة فى الجاهلية فما تأمرنا قال اذبحوا لله فى أى شهر كان لما فى التخصيص من تفضيل بعض الاوقات على بعض وتمييزها بالعبادة من غير نص من الشارع كما نهوا عن تخصيص ذبح الفرع أول مايولد لان رسول الله لما سئل عن الفرع قال الفرع حق وأن تتركوه حتى يكون بكرا أو ابن مخاض أو ابن لبون (١) فتعطيه ارملة أو تحمل عليه فى سبيل الله خير من أن تذبحه فيلزق لحمه بوبره (٢) وتكفىء اناءك (٣) وتوله ناقتك (٤) ومنه تعلم ان الفرع كان يصلح عندهم للنسك ولو ذبح صغيرا أما غيره فلا يصلح لذلك الا اذا ذبح كبيرا وشاهده قول أبى على القالى فى أماليه (الحلان والحلام فويق الجدى وأنشد لابن احمر

تهدى اليه ذراعُ الجدى تكرمة اما ذبيحا واما كان حلانا

فالذبيح الذى يصلح للنسك والحلان الصغير الذى لا يصلح للنسك ثم قال وانشدنا أبو عبيدة قول مهلهل

كل قتيل فى كليب حُلام حتى ينال القتل آل همام

يقول كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن يذبح للنسك حتى ينال القتل آل همام فانهم وفاء به »

و(كانوا) يذبحون قربانهم عند الاصنام اذا كانوا بمقربة منها وحينئذ يلطخونها بدمائها يلتمسون بذلك الزيادة فى أموالهم ودفع المكروه عنهم وشاهده قول زهير بن أبى سلمى

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتردى رأسه النسك(٥)

---

(١) البكر الفتى من الابل والانثى بكرة وا ابن المخاض) الفصيل اذا لقحت أمه وقيل مادخل فى السنة الثانية لان أمه لحقت بالمخاض أى الحوامل وان لم تكن حاملا و(ابن اللبون)ولد الناقة اذا كان فى العام الثانى واستكمله وقيل اذا دخل فى الثالث والانثى ابنة لبون لان أمه وضعت غيره (٢) يريد انه لاشبع فيه (٣) يشير به الى ذهاب اللبن لان ذهاب ولدها يدفع لبنها فكانه اذا فعل ذلك كفأ اناءه وأراقه (٤) يعنى تفجعها بولدها (٥) معنى البيت

وقد هجا شاعرهم رجلا فشبهه برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها فلا تصلح الا للذبح والنسك فقال

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة من الادم أهداها أمرؤ من بنى غنم
رأى قدعا فى عينها اذ يسوقها الى غبغب العزى فوسع فى القسم(١)

وكذلك كانوا يصنعون اذا نحروا هديا قسموه فيمن حضرهم و (كانوا) يهلون بأسمائها عند الذبح فيقولون باسم اللات أو العزى مثلا وغلوا فى ذلك حتى قالت كفار قريش ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما ذبحتم لغيره فكلوه فحرم الله ذلك واعتبر ذبيحتهم نجسة يحرم أكلها بقوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق (٢) وتبعت نصارى العرب كفار قريش فى تعمد ترك اسم الله تعالى عند الذبح ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن ذبيحة نصارى العرب على أن من العرب من فتح الله بصيرته فعلم سوء صنيعهم هذا من هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل وكان ممن اعتزل عبادة الاوثان وحرم أكل ذبائح المشركين ومن قوله فى ذلك (يامعشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فتذبحونها لغير الله)

ومن أنواع قرابينهم فى الجاهلية البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وورد ذكر الثلاثة الاخيرة فى قول الشاعر

حول الوصائل فى شريف حقة والحاميات ظهورها والسيب (٣)

زل الصقر عن القطاة وأشرف على رأس (مرقبة) وهى المكان المرتفع حيث يرقب الرقيب وقوله (كمنصب العتر) أى كأن الصقر مما به من الدم الحجر الذى يعتر عليه وهو النصب و(العتر) ذبح كان يذبح فى رجب (١) القدع ضعف البصر من ادمان النظر و(الغبغب) المنحر مهراق الدماء(٢) فسر الفسق بمتروك التسمية عمدا لقوله تعالى أوفسق أهل لغير الله به (٣) حول جمع حائل ويقال فى جمعها أيضا حوال والحائل كل أنثى لاتحمل و (الشريف) اسم موضع واذا طعنت الابل فى الرابعة فهى حق وحقة و(وصائل) ووصل جمع وصيلة و (سيب) وسوائب جمع سائبة ـ وفى نسخة حول الفصائل

وتتميز كل واحدة منها عما عداها بعلامة كما قال الجاحظ « وقد أعلم العرب البحيرة بغير علم السائبة لتتميز عنها واعلموا الحامى بغير علم الفحول وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الاغنام السائمة »

ولنبين معانيها فنقول ، أما البحيرة فهى فعيلة بمعنى مفعولة من البحر وهو الشق جمعها بحائر وبحر .وفسرها الزجاج بأن أهل الجاهلية كانوا اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها وحرموا نحرها وركوبها ولا تطرد من ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعيى لم يركبها وفسرها ابن اسحاق بانها بنت السائبة (١) وتعقبه ابن هشام بأنها عند العرب ليست كذلك بل البحيرة عندهم الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف ولا يتصدق به وتهمل لآلهتهم

وقال الكلبي كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فكان الخامس ذكرا أكله الرجال دون النساء وان كان أنثى بحروا أذنها وشقوها وتركت لا يشرب لها لبن ولا تركب قيل ولا يجز لها وبر ولا يحمل عليها شئ ولا يذكر اسم الله عليها ان ذكيت وتكون ألبانها للرجال دون النساء وان كانت ميتة اشترك فيها الرجال والنساء .وقيل البحيرة الناقة التى ولدت خمسة أو سبعة وقيل بل عشرة أبطن وتترك همملا واذا ماتت حل لحمها للرجال خاصة وقيل هى فى الشاة خاصة اذا نتجت خمسة أبطن بحرت . وعن ابن المسيب انها التى منع لبنها للطواغيت فلا تحلب. وقيل هى السقب الذى اذا ولد شقوا أذنه وقالوا اللهم ان عاش ففتى وان مات فذكى فاذا مات أكلوه .وقيل التى تترك فى المرعى بلا راع

أما السائبة فهى فاعلة من سيبته أى تركته وأهملته فهو سائب وهى سائبة قال ابن اسحاق هى الناقة اذا تابعت بين عشر أناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ثم خلى سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بأمها فهى البحيرة بنت السائبة وتعقبه

---

(١) من معانيها فى القاموس انها ابنة السائبة وحكمها حكم أمها

ابن هشام بأن السائبة عند العرب هى التى ينذر الرجل أن يسيبها ان برئ من مرضه أو ان أصاب امرا يطلبه فاذا كان ذلك اساب ناقة من ابله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها وعن أبى عبيدة كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد أو نجته دابته من مشقة أو حرب . قال هى سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً (١) وكانت لا تمنع من ماء ولا كلأ ولا تركب وكان هذا نذرا من نذورهم وقيل هى البعير الذى يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب وقيل ماترك ليحج عليه وعن ابن عباس وابن مسعود انها التى تسيب للاصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا أبناء السبيل ونحوهم والسائبة أيضا العبد يعتق على ألا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث

وأما الوصيلة فهى فعيلة بمعنى فاعلة على الاظهر وقيل بمعنى مفعولة وفسرها ابن اسحاق بانها الشاة اذا اتأمت عشر أناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناثهم (٢) الا ان يموت منها شئ فيشترك فى أكله ذكورهم وأناثهم. وتعقبه ابن هشام بان الوصيلة عند العرب هى التى تلدامها اثنين فى كل بطن فيجعل صاحبهما لآلهته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها (٣) أمها ومعها ذكر فى بطن فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخوها معها فلا ينتفع بهما

وقال الفراء هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين (٤) عناقين واذا ولدت فى آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الام الا الرجال دون النساء وتجرى مجرى السائبة . وعن ابن عباس هى الشاة تنتج سبعة أبطن فان

---

(١) نقل القلقشندى فى صبح الاعشى سببا آخر لاغلاق الظهر اذ قال كان الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة عمد الى البعير الذى كملت به المائة فاغلق ظهره بأن ينزع شيئا من فقراته ويعقر سنامه كى لا يركب ليعلم ان ابل صاحبه قد امأت (٢) يروى فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون أناثهم (٣) أى الانثى (٤) العناق كسحاب الانثى من أولاد المعز جمعه أعنق وعنوق

كان السابع انثى لم ينتفع النساء منها بشى الا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها فتترك معه وينتفع بها الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها . قال ابن قتيبة ان كان السابع ذكرا ذبح وأكلوا منه دون النساء وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وان كان انثى تركت فى الغنم وان ذكرا وأنثى فكقول ابن عباس

وقال الزجاج هى الشاة اذا ولدت ذكرا كان لآلهتهم واذا ولدت انثى كانت لهم واذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها أى دفعت عنه الذبح فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم. وقيل هى الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة . فان كان جديا ذبحوه وان كان انثى أبقوها وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها

وقيل الوصيلة من الابل هى الناقة التى وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينها وقيل أنها الناقة التى تبكر فتلد أنثى ثم تثنى بولادة أنثى أخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها لآلهتهم ويقولون قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر

وأما الحامى فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه .فقال ابن اسحاق انه الفحل اذا نتج له عشر أناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره . فلم يركب ظهره ولم يجز وبره وخلى فى ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك وقيل هو الفحل ينتج له سبع أناث متواليات فيحمى ظهره .وقال الشافعى انه الفحل يضرب فى مال صاحبه عشر سنين وقال الفراء هو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون حمى ظهره فيهمل ولا يطرد من ماء ولا مرعى . وقال أبوعبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وروى هذا القول عن ابن عباس وابن مسعود

وكانوا يرون أن الضرورة تبيح المحظور وشاهده ما رواه المفضل الضبي أن جبيلة بن عبد الله أخا بنى قريع بن عوف أغار على ابل جرية بن أوس بن عامر يوم سلوق فاطرد ابله غير ناقة كانت مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها وكان لجرية ابن أخت يرعى أبله فبلغ الخبر خاله والقوم قد سبقوا

بالابل غير تلك الناقة الحرام فقال جرية للغلام رد على تلك الناقة لاركبها فى أثر القوم فقال الغلام انها حرام فقال جرية «حرامه يركب من لاحلال له» فجرت مثلا لمن اضطر الى ما يكرهه

واختلاف أئمة اللغة والمفسرين فى معناها يرجع لاختلاف القبائل فى ذلك فنقل بعضهم عن قبيلة معنى يخالف ما نقله غيره عن قبيلة أخرى وبهذا تعلم أن لا وجه لابن هشام فى تعقبه ابن اسحاق ويؤيد ماذهبنا اليه ماروا ه أبو هريرة ان النبى عليه السلام قال ان عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أول من غير دين اسماعيل وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامى وما رواه زيد بن أسلم أن رسول الله قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيته فى النار يؤذى أهل النار ريح قصبه فقد أخبر النبى عليه الصلاة والسلام فى حديث أبى هريرة أن أول من بحر البحيرة عمرو بن لحى وهو أبو خزاعة من القحطانية (١) وأخبر فى حديث زيد بن أسلم أن أول من بحرها رجل من مدلج وهم بطن من كنانة بن خزيمة بن مدركة من العدنانية . وأوليتهما انما هى بالنسبة لمن اتبعهما فيما ابتدعا فلا ينافى أولية غيرهما فاختلف المعنى لاختلاف الواضعين وقد أبطل الشارع ذلك وحرمه لقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وقوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء (٢) سيجزيهم

---

(١) قال القاضى عياض المعروف فى نسب خزاعة انه عمرو بن لحى ابن قمعة بن الياس بن مضر وعليه فهو من العدنانية وان لم يكن من بنى مدلج

(٢) الحجر الحرام كانوا لا يطعمون ما حرموا من الحرث والانعام الا من